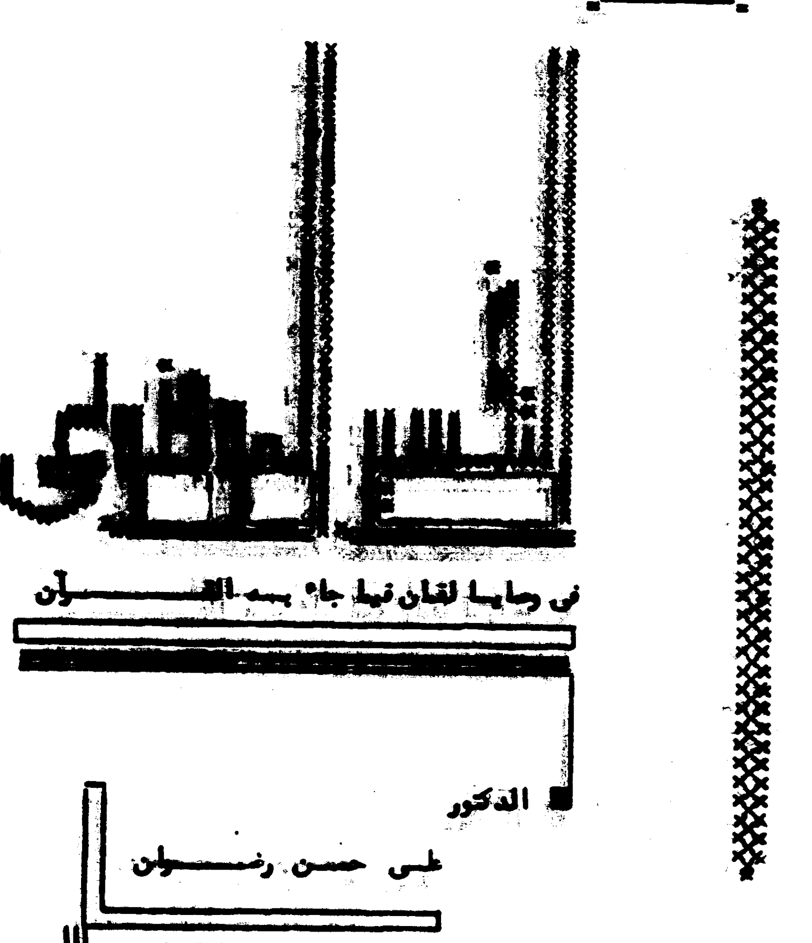
جامعة الازهر

كلية أصول الدين والدعوة الاسلامية



التفسير الموضوعي

فى وصايا لقمان فيما جاء به القرآن

الدكتور

على حسن رضوان


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ٠

وبعد

ان القرآن الكريم هو الدستور العادل الصالح لتنظيم حياة الافراد والجماعات وما على المومن الا أن يتدبر كلام الله ويعمل به فيحظى بالسعادة الروحية وتستقر له الاوضاع الصحيحة

ومن هنا يجدر بنا أن نتوجه الى دراسة القرآن دراسة موضعية لابراز النواحى القرآنية ـ التى من اجلها نزل القرآن ليكون هداية للناس فى أمور الدنيا والآخرة ٠

ونذكر مقدمة عن نشأة التفسير وتطوره ثم نعرض لوصايا لقمان فيما جاء به القرآن وقد تعرضت الى بيان شخصية لقمان :

وبالله التوفيق فهو الهادى الى سواء السبيل ٠

المؤلف

دكتور / على حسن رضوان

كلية اصول الدين والدعوة الاسلامية بطنطا

١٤٠٥هـ ١٩٨٥م

* **نشأة علم التفسير :**

لقد كلف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع التبليغ ببيان ما يبلغه بدليل قول الله تعالى " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون " (١) .

" وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون " (٢) .

وأما الآيات التى تحصر وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم فى البلاغ أو الانذار ، فان الحصر فيها اضافى لارادة تذكيره صلى الله عليه وسلم بأنه لا يهدى من أحب ، ولم يحمل الناس على الايمان به جبرا " ان عليك الا البلاغ " (٣) . " انما أنت مذكر " (٤) .

" ان أنت الا نذير " (٥) " ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء " (٦) . " انك لا تهدى من أحببت " (٧) " لست عليهم بمسيطر " (٨) .

ومن هنا لابد من أتباعه صلى الله عليه وسلم فى كل ما يبلغه عن ربه وكل ما بين به القرآن من سنته ، قولا ، أو فعلا ، أو تقريرا ، يقول الله تعالى : " من يطع الرسول فقد أطاع الله " (٩)

" قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم " (١٠) .

---

(١) النحل آية ٤٤ (٢) النحل آيه ٦٤
(٣) الشورى آيه ٤٨ (٤) الغاشيه آيه ٢١
(٥) فاطر آيه ٢٣ (٦) البقرة آيه ٢٧٢
(٧) القصص ٥٦ (٨) الغاشية ٢٢
(٩) النساء آيه ٨٠ (١٠) آل عمران آية ٣١

" يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون "(١)

" وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " (٢)

وبذلك فالسنة : تفسير المبهم ، وتفصيل المجمل ، فقد تفصل السنة مجمل القرآن كالذى نرى فى الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وكثير من أحكام المعاملات وغيرها فقد قال صلى الله عليه وسلم (صلوا كما رأيتمونى أصلى) فقد بين كل ما يتعلق بالصلاة مع أن الذى ورد فى القرآن مجملا ، وقال أيضا (خذوا عنى مناسككم " حين كان يقوم بشعائر الحج فى حجة الوداع .

وتخصيص العام ، ان السنة تخصص القرآن بلا اختلاف لأن التخصيص بيان ....

والسنة تقيد المطلق الذى فى القرآن ، زيادة على ما تستقل به السنة من أحكام جزئية وضع القرآن أصولها .

وبذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم هو أول مبين للقرآن وان لم يكن بيان القرآن قد عرف باسم التفسير .

وتناقل الصحابة ما بين به آيات من القرآن سئل عنها ، أو رأى أن يبين لهم المراد بها .

وقد اشتهر من الصحابة بتفسير القرآن مثل الخلفاء الأربعة والعبادلة الأربعة كعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وبعض كتاب الوحى كأبى ابن كعب ، وزيد بن ثابت ، ثم أبى موسى الأشعرى ، وأبى هريرة ، وجابر بن عبد الله .

---

(١) الأنفال آيه ٢٠ — ٢٤ (٢) الحشر آية ٧

ومن التابعين من اشتهروا بتفسير القرآن كأصحاب عبد الله بن عباس بمكة وعكرمه مولاه ، ومجاهد بن جبير وسعيد بن جبير ، وطاووس بن كيسان اليمانى ، وعطاء بن أبى رباح وأصحاب عبد الله بن مسعود بالكوفة مثل علقمة بن قيس ، والأسود بن يزيد ،وابراهيم النخعى ، والشعبى (عامر بن شراحيل) .

وزيد بن أسلم بالمدينة وراوى تفسيره الامام مالك بن أنس ، ومحمد بن كعب القرظى ، والحسن البصرى ، وأبو العالية (رفيع بن مهران) وقتادة بن دعامة السدوسى بالبصرة والضحاك بن مزاحم الهلالى بخراسان وقد تلقى التفسير عن هؤلاء من جاءوا بعدهم وتلقوه آثارا كانوا يمنونها بأسانيدها حتى تلقفها منهم أوائل المدونين فى التفسير وغيرهم .

* المدونون الأوائل فى التفسير :

من أقدم المدونين فى التفسير عبد الرزاق بن نافع الحميرى (1) فقد دون من روايته عن شيوخه تفسيرا كاملا ، ويعتبر أصلا لجميع كتب التفسير بالرواية بعده .

ومن بين القدامى محمد بن جرير الطبرى فى كتابه جامع البيان عن تأويل آى القرآن .

كذلك المحدثون كالبخارى ومسلم فقد جعلوا فى كتبهم أبوابا كثيرة باسم كتاب التفسير وأصحاب السنن كالترمذى وأبى داود وابن ماجه ، والنسائى

---

(١) توفى عبد الرزاق بصنعاء سنة ٢١١ هـ

* تطور علم التفسير :

لم يقف علم التفسير عند نشأته بل دخله التطور ، وتعددت المناهج والاتجاهات ما دخل غيره من العلوم ، فقامت الى جانب مدرسة التفسير بالمأثور ، مدرسة أخرى تعتمد ى التفسير على الرأى ومدرسة ثالثة · تجمع بين الرواية والرأى وتعتمد عليهما معا ى التفسير ومن أقدم المدونين ى التفسير مع الاعتماد على الرأى هو مقاتل بن سليمان الأزدى الخراسانى المتوفى سنة ١٥٠ هـ الذى قال فيه الشافعى " الناس عيال على مقاتل بن سليمان ى التفسير " .

وكان مقاتل بن سليمان من أذكى العلماء وأسرعهم بديهة ، والدليل على ذكائه ما روى من أن أبا جعفر المنصور كان جالسا فسقط عليه الذباب فطيره فعاد اليه وألح عليه وجعل يقع على وجهه وأكثر من السقوط عليه مرارا حتى أضجره فقال المنصور :ـ

انظروا من بالباب ؟ فقيل له مقاتل بن سليمان ، فقال علىّ به فأذن له فلما دخل عليه قال له : هل تعلم لماذا خلق الله الذباب؟ قال نعم : ليذل به الجبارين ، فسكت المنصور [1] .

وروى الامام مالك بن أنس أنه بلغه أن مقاتل بن سلمان جاءه انسان فقال : ان انسانا جاءنى فسألنى عن لون كلب أهل الكهف فلم أدر ما أقول له ، فقال له مقاتل : آلا قلت له أبقع ، فلو قلته لم تجد أحدا يرد عليك [2] .

وقد اشتهر مقاتل بن سليمان بأنه من الوضاعين وتفسير مقاتل انما هو

---

(١) تهذيب التهذيب جـ ١٠ ص ٢٧٩
(٢) تاريخ بغداد جـ ٧ ص ١٦٠

تفسير بالرأى ، والقليل منه من كلام مقاتل لأنه كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذى يوافق كتبهم .

ومع نشأة المذاهب الاسلامية فى العقيدة والفقه نشأت اتجاهات فى التفسير لتخدم هذه المذاهب ، ثم برزت تخصصات المفسرين فى تفاسيرهم فعالم النحو يهتم بالإعراب وعالم البلاغة يهتم بالنكات البلاغية ، والعالم بالقراءات يظهر علمه فى تفسيره وحين ظهر التشيع كمذهب سياسى كان منهم مفسرون تكلفوا فى تأويل هذه الآيات لتنصر مذهبهم فى التشيع لعلى وآل البيت .

ونشأت المعتزلة والجبرية الى جانب أهل السنة فكان فيهم مفسرون تكلفوا فى تأويل هذه الآيات التى تؤيد مذهبهم ومن أشهرهم الزمخشرى والقاضى عبد الجبار والجبرية والجهيمية كذلك .

أما الفقهاء فقد انطبعت تفاسير معظمهم بطابع الاستنباط من آيات التشريع فى القرآن ، ومن ثم غلب على هذه التفاسير اسم أحكام القرآن أو الجامع لأحكام القرآن (1) .

* التفسير والتأويل :

التفسير بمعنى الابانه وكشف المغطى وتفسير القرآن : هو توضيح معانيه وبيانها ويقتضى هذا شرح المفردات التى تتضمنها آياته .

والتأويل : قال الفيروز أبادى : أول الكلام تأويلا وتأويله دبره وقدره وفسره . والتأويل عبارة الرؤيا .

---

(1) من بين هؤلاء الجصاص الحنفى وابن العربى المالكى وكتاباهما فى أحكام القرآن مطبوعات مشهورات . والكيا الهراسى الشافعى وابن عادل الحنبلى وكتاباهما مخطوطات .

* الفرق بين التفسير والتأويل :

١ — التفسير يستعمل فى الالفاظ ، والتأويل فى المعانى كتأويل الرؤيا .

٢ — التأويل يستعمل أكثره فى الكتب الالهية . والتفسير يستعمل فيها وفى غيرها .

٣ — التفسير يستعمل أكثره فى مفردات الألفاظ ، والتأويل يستعمل فى الجمل .

* أقسام التأويل :

أ — أن يكون لفظ عام فيخصص فى بعض ما يدخل تحته نحو قوله " وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين " (١).
حمله بعض الناس على علىّ بن أبى طالب فقط .

ب — أن تلفق بين اثنين نحو قول من زعم أن الحيوانات كلها مكلفة محتجا بقوله " وان من أمة الا خلا فيها نذير " (٢). وقال " وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم " (٣)
انهم مكلفون كما نحن مكلفون .

جـ — ما استعين فيه بخبر مكذوب كقوله " يوم يكشف عن ساق " (٤).
عنى به الجارحة مستدلا بحديث موضوع .

د — ما يستعان به باستعارات واشتقاقات بعيدة كما قال بعض الناس فى البقر انه انسان يبقر عن أسرار العلوم ، وفى الهدهد أنه

(١) سورة التحريم آيه
(٢) سورة
(٣) سورة الانعام آيه
(٤)

انسان موصوف بجودة البحث والتنقير .

* أما التأويل المنقاد فقد يقع الخلاف فيه بين الراسخين في العلم إما لاشتراك اللفظ أو لأمر راجع الى النظم واما لغموض المعنى ووجازة اللفظ .

* **معنى التأويل :**

التأويل معناه هو الأمر العملى الذى يقع في المآل تصديقا لخبر أو رؤيا ، أو لعمل عما مضى يقصد به شيء في المستقبل ، فليس التأويل الذى ورد في القرآن بمعنى التفسير ولا بالمعنى الذى اصطلح عليه المتأخرون من أنه صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل .

واذا كان الطبرى قد التزم التعبير به في بيان معانى الآيات بقوله : وتأويل الآية عندى ، فلأنه كان يريد به حقيقة ما يئول اليه معنى الآية بعد تفسير مفرداتها والجملة الغامضة فيها فقد يكون هذا دون شك هو ما أراده به رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما دعا لابن عباس بقوله " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " .

* **أنواع التفسير :**

للتفسير أنواع متعددة :ـ

١ ـ التفسير التحليلى : وهو بيان الآيات القرآنية بالتعرض لجميع نواحيها والكشف عن كل مراميها حتى يكون المفسر مستوعبا لجميع الأهداف التى يتطلبها من بحثه عن ألفاظها ومعانيها وأسباب نزولها وعما ترمى اليه من أحكام وعقائد وعن السر في

تعبيرها وما ترمى اليه بألفاظها وتستهدفه بأسلوبها ، ومن أمثلته الفخر الرازى وتفسير الألوسى .

٢ ـ التفسير الاجمالى : وهو بيان الآيات القرآنية بالتعرض لمعانيها اجمالا مع بيان غريب الألفاظ والربط بين المعانى وما يستلزم ذلك من سبب النزول وذلك بسرعة خاطفة وتعبير سهل يعطى صورة مجملة عن الطائفة الكبيرة من الآيات فى زمن قليل وتعبير وجيز ومن أمثلته تفسير الجلالين وتفسير محمد فريد وجدى .

٣ ـ التفسير الموضوعى : وهو بيان الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد وان اختلفت عباراتها ، وتعددت أماكنها مع الكشف عن أطراف ذلك الموضوع حتى يستوعب المفسر جميع نواحيه ويلم بكل أطرافه ، وان أعوزه ذلك لجأ الى التعرض لبعض الأحاديث المناسبة للمقام لتزيدها إيضاحا وتبيانا .

٤ ـ التفسير المقارن : وهو بيان الآيات القرآنية على ما كتبه جمع من المفسرين بموازنة آرائهم والمقارنة بين مختلف اتجاهاتهم والبحث عما عساه يكون من التوفيق بين ما ظاهره مختلف من آيات القرآن والأحاديث وما يكون من ذلك مؤتلفا أو مختلفا من الكتب السماوية الأخرى .

* واذا تجلى لنا الفرق بين تلك الأنواع من التفسير فلنتعرض الى وجه الحاجة الى التفسير الموضوعى .

* الحاجة الى التفسير الموضوعى :

ان الحاجة اليه ظاهرة من بيان انه عبارة عن شرح الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد ، لأنه اذا كانت المباحث القرآنية متضحة

للباحث بجميع نواحيها ، متجهه به الى غايتها ، مبرزة لنواحــى الحكمة فى دعوة القرآن اليها كان ذلك النهج باعثا للمطلع عليه الــى أن يسلك الطريق الذى رسمه القرآن حيث كان واضح الغاية محدد النهاية بارزا فى تصويره جامعا لكل الأهداف فى تحقيقه ، فاذا ما أشبع الانسان رغبته من موضوع وانتقل الى موضوع آخر منتهجا ذلك المنهج كان القرآن بينا للناس فى جميع نواحيه متجها بهم الى جميع مراميه ، ولا شك أن ذلك المسلك ، وتلك الطريقة تؤدى بالناس الى أن يفهموا القرآن فيتبينوا اتصاله بواقع حياتهم حيث يرشدهم الى الصالح منها ويجنبهم ما يكون عائقا عن طريق اسعادهم وذلك كما قال الشيخ محمود شلتوت رحمه الله .

وهذه الطريقة هى الطريقة المثلى وخصوصا فى التفسير الذى يــراد اذاعته على الناس بقصد ارشادهم الى ما تضمنه القرآن من أنواع الهداية والى أن موضوعات القرآن ليست نظريات بحته يشتغل بها الناس من غير أن يكون لها مثل واقعية فيما يحدث للأفراد والجماعات من أقضية تتصل بحياتهم من شئون (١) .

فهذه الأبحاث الموضوعية يستشف الانسان هدى القرآن فيمــا يصحح به علاقاته بربه حيث تكون معرفته معرفة صحيحة لا يشوبها من غبار التشبيه ما يحيد به عن الطريق ومعرفته لنفسه يعلم احتياجه الى تلــك القوة القاهرة القادرة .

فاذا وصل الانسان الى هاتين المعرفتين وقدرهما حق قدرهما وعلم أن الله خالق قادر ، وهو مخلوق ضعيف تقلب فى أطوار خلقه من حال الــى حال بعد أن لم يكن شيئا مذكورا ، اتجه فى السلوك الى تلك الــذات

---

(١) الاسلام والعلاقات الدولية ص ١٠

الخالقة سلوكا يرضيها وسار اليها سيرا يقربه منها ويدنيه اليهـــا فيتجلى بما رسمته من كريم الخلال وجميل الأفعال حتى تقوى صلتــه بها ثم ينظر بعد ذلك الى ما أرشد اليه هدى القرآن والى ما يصلــح به الفرد ويصلح به الجماعة من معاشرين وجيران وأهل وأوطان منتهجا فى ذلك ما يكون من الوسائل الصحيحة فى البيع والشراء والأخذ والعطاء وهكذا حتى يكون منهجه فى حياته منهجا قرآنيا وسلوكه اليها سلوكـــا شرعيا ، وهو بعد ذلك يقدر نهايته اذا ما حاد عن طريق القــــرآن بأن يشقى فى حياته الدنيا ويشقى فى حياته الأخرى .

واذا كان ذلك كذلك فى دراسته لموضوعات القرآن كان له من القــــرآن كامل الانتفاع متزودا منه خير زاد الى فسيح البقاع ، وأدرك بذلك النوع من البحث هداية الله فى القرآن ادراكا ساميا وعرف تشريعات القــرآن معرفة صحيحة وليس ذلك الا بواسطة هذه الدراسة الموضوعية الـــتى تحدد الأهداف وتشق الطريق الى المقصود وتفتح القلوب الى الغايــة وتمكن النفوس من الغرض والعيون من الهدف .

والعصر الذى نعيش فيه يحتاج الى ذلك النوع مـــن التفسير حيث كان فى سلوكه ادراك المقصود من أقرب الطرق والوصـــول الى الحقيقة بأسهل الوسائل خصوصا أنه فى عصرنا يثار كثير من الغبـار فى جو الأديان فتنتشر المبادئ الشيوعية وتحلق فى سماء الانسانية سحب الضلال والشبه وليس يقوى على ذلك الا سلاح قوى سهل يمكن رجـــل الدين من الذود عن حياضه ، والدفاع عن دعائمه ، وليس هــــذا الا بذلك النوع من التفسير حيث كان جامعا لشتات الموضوعات محيطـا بأطرافها .

ولا ريب أن هذه الطريقة في الأبحاث القرآنية فيها الدواء من الأسقام النفسية والجسمية ، وفيها العلاج لكل مشاكل حياتنا السياسية والاجتماعية . قال تعالى : " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم " وجاء عنه صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي عن الحارث الأعور بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ستكون فتن كقطع الليل المظلم قيل فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال كتاب الله تعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تتشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء ، من علم علمه سبق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد هدي الى صراط مستقيم "

متى نشأ التفسير الموضوعي ؟

نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرأه أصحابه رضي الله عنهم وكانوا يعرفون من أسراره ما لا يعرفه أحد ولكنهم لم يدونوها لأن القرآن قد ملأ عليهم حياتهم . فكانوا دائبين على دراسته وفقهه ونشره بين المسلمين وكانوا عربا خلصا يتمتعون بصفاء الذهن وقوة العارضة ، ثم ان معالجة الكتابة ليست بالشيء السهل بحيث تشجعهم على كتابة كل شيء .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم يستفتونه في كل شيء عنّ لهم أو اختلفوا فيه ، وحتى بعد انتقاله عليه السلام الى الرفيق الأعلى كانوا يعرضون آراءهم على القرآن وعلى السنة ، وعلى ما تذوقوه

من نور الشريعة السمحة ونور صاحبها وهناك مثالا يتضح منه ان التفسير الموضوعى وجد فى العصر الأول وان كان بصورة غنية عن الشرح والتفصيل " قول الله تعالى " واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن " فقد أشكل على بعض الأئمة هذا الشرط وجاء سبب النزول يعيننا على فهم المراد منه فقد أخرج الحاكم عن أبى بن كعب أنه لما نزلت الآية التى فى سورة البقرة فى عدد النساء آيات ٢٢٨ الى ٢٣٤ قالوا قد بقيت عدد لم تذكر وهى عدد الصغار والكبار فنزلت .

ثم لما تطورت الحياة وجاء وقت تدوين الكتب وتأليفها ، شملت فيما شملت تفسير القرآن الكريم فترى ممن ألف فى التفسير الموضوعى :

قتادة بن دعامة السدوسى المتوفى سنة ١١٨ هـ فقد ألف فى الناسخ والمنسوخ وأبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة (٢٠٩) هـ وكتابه مجاز القرآن ـ مطبوع ـ وألف أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى (سنة ٢٢٤ هـ) فى الناسخ والمنسوخ ـ وكتابه مطبوع ـ وألف فى أسباب النزول : على بن المدينى شيخ البخارى المتوفى (سنة ٢٢٤ هـ) والواحدى النيسابورى (المتوفى ٤٦٨ هـ) وكتابه مطبوع .

وألف فى غريب القرآن أبو بكر السجستانى المتوفى (سنة ٥٠٢ هـ) ، وألف ابن قتيبة المتوفى (سنة ٢٧٦ هـ) كتابه : (تأويل مشكل القرآن) وألف الشريف الرضى المتوفى (٤٠٦ هـ) كتابه تلخيص البيان فى مجازات القرآن) وممن ألف فى المجاز القرآنى الباقلانى المتوفى (سنة ٤٠٣ هـ) والرمانى المتوفى (سنة ٣٨٦ هـ والخطابى المتوفى (سنة ٣٨٨ هـ) والجرجانى المتوفى (سنة ٤٧١ هـ) .

وألف ابن القيم المتوفى (سنة ٧٥١ هـ) فى أقسام القرآن ، والبقاعى المتوفى (سنة ٨٨٥ هـ) فى تناسب الآى والسور .

ومن مؤلفى العصر الحديث : محمد صادق الرافعى وكتابه يسمى (المجاز القرآنى والبلاغة النبوية) ومحمد مصطفى المراغى وكتابه فى (ترجمة للقرآن الكريم وأحكامها) .

ومحمد فريد وجدى : وكتابه الأدلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغات الأجنبية) الى غير ذلك من الكتب الحديثة التى تتناول التفسير من زاوية الموضوع الواحد ذى الهدف الواحد .

* طريقة البحث فى التفسير الموضوعى :

للباحث فى هذا النوع من التفسير طريقتان : —

أ — أولهما : أن يجعل السورة القرآنية وحدة متكاملة هدفها واحد وان تعددت موضوعاتها فهى تدور حول مركز ركيز يسمى بالغرض سواء كان عاما أو خاصا . فنقول مثلا : سورة البقرة : الهدف منها تحديد الطريق القويم لمن أراد أن يسلك نفسه مسلك المتقين ، ثم تفسر الموضوعات التى وردت فى السورة على هذا الهدف ونقول مثلا : سورة آل عمران : هدفها تحديد معالم الألوهية الحقة ، واثبات أن الله واحد لا شريك له وهكذا فى كل سور القرآن . ومما يعيننا على فهم هذا النوع من نوعى التفسير الموضوعى :—

١ — كتاب (نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور) للبقاعى (المتوفى سنة ٨٨٥ هـ) حيث أدمج كل موضوعات السورة

عرض واحد تدور عليه آيات السورة الواحدة ، وله كتاب مقاصد السور .

٢ ـ كتاب (النبأ العظيم) للدكتور محمد عبد الله دراز ، وهو كتاب لا يستغنى عنه باحث ، وقد تكلم فيه عن سورة البقرة ونظمها في عقد فريد يظهر جمال النظم الالهى ذى الترتيب المحدد بمقدار معين .

ب ـ ثانيتهما : أن تجمع الآيات القرآنية ذات الهدف المشترك ، وترتبها على حسب النزول ـ ما أمكن ذلك ـ مع الوقوف على أسباب النزول ـ ان وجد ـ ونتناولها بالشرح والبيان والتعليق والاستنباط ، ونوزنها بميزان العلم الصحيح مع الاحاطة التامة بكل جوانب الموضوع كما ورد في القرآن الكريم ، بقصد الوصول الى الغاية المرجوة من وراء هذا البحث القرآنى وافادة المجتمع الاسلامى منه .

والطريقة الثانية هى المعمول بها في مجال البحوث العلمية الموضوعية ، واذا ما أطلقت كلمة " تفسير موضوعى فلا يفهم منها الا بحث موضوع من موضوعات القرآن الكريم على مستوى القرآن جميعه .

* وأول ما يجب على الباحث :

١ ـ أن يجمع الآيات القرآنية التى تخدم موضوعه ، مستعينا على ذلك بحفظه وبالمصحف الشريف ، وببعض الكتب التى عنيت بجمع الآيات تحت عنوان واحد ، أو التى تجمع الآيات المماثلة في حروف المعجم ـ مثل كتاب المفردات ، للراغب الاصفهانى

(المتوفى سنة ٥٠٢ هـ) وكتاب (اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) للدامغاني (معجم ألفاظ القرآن الكريم) لمجمع اللغة العربية . و (تفصيل آيات القرآن الكريم) لجول لا بوم ، ويليه (المستدرك) لادور مونتيه : تعريب الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، والمعجم المفهرس لألفاظ (القرآن الكريم) للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي .

٢ ـ ثم يرتب هذه الآيات حسب النزول ـ ما أمكن ـ ما نزل في مكة أولا : ثم ما نزل في المدينة .

ثانيا : وما نزل أول العهدين قبل ما نزل آخرها .

٣ ـ ازاحة ما قد يكون بين الآيات من موهم الاختلاف والتناقض موقنا أن القرآن لا يوجد فيه اختلاف تناقض وما وراء ذلك يمكن التوفيق بين الآيات بعضها وبعض لاختلاف الجهة من الزمان أو المكان أو الحقيقة والمجاز ، أو اختلاف جهتي الفعل ، أو وقوع المخبر به على أحوال مختلفة ..... ونحو ذلك .

٤ ـ تفسير الآيات أثناء عرضها تفسيرا يفهم منه الحكمة في ايراد الآيات والغرض من هذا التشريع الالهي ، والغاية من وراء تنفيذ الأمر واجتناب النهي ، مع تدعيم التفسير بالسنة النبوية وأقوال السلف الصالح . ، وايراد أسباب النزول ان وجدت وشرح قصة من قصص الأنبياء والأمم السالفة ان وردت في الآيات محل الشرح مع مراعاة شروط المفسر أثناء عرض الموضوع .

٥ ـ اخراج الموضوع في صورة متكاملة تامة البناء والأحكام : بمراعاة شروط البحث العلمي ، واضعا نصب عينيه أنه يبرز للناس طريقا

من طرق ارشاد القرآن التى هى أقوم طارحا وراء عقيدة فاسدة ، أو أية مؤثرات خارجية قد تطغى على الحقيقة المنشودة من وراء بحثه للآيات القرآنية لخدمة الأفراد والمجتمع الاسلامى [1] .

وبعد هذا العرض الموجز لتلك المقدمة نتوجه الى ما قصدنا دراسته وهى وصايا لقمان فى القرآن .

ونتحدث عن الشخصية القرآنية .

---

(١) التفسير الموضوعى للقرآن الكريم للدكتور أحمد السيد الكومى ص ١٦ ـ ٢٤ .

* الشخصية القرآنية :

القرآن الكريم كتاب دعوة ، ودستور نظام ، ومنهج حياة لا كتاب رواية أو تسلية أو تاريخ .

والقرآن أمام الحياة لا مع الحياة فقط . بل معها هاديا ومرشدا ، وظن كثير من الناس أن القرآن كتاب قصص وتسلية وهذا بعد عن الصواب لأن القرآن لم ينزل لزمان معين ، وانما نزل لكل زمان ومكان وعلاج لكل حادثة تحل ببنى الانسان ، لأن الذى يعلم حوادث الدنيا هو الذى أنزل القرآن فكل انحراف وكل تخلف لبنى الانسان ناتج عن عدم تعاطى الدواء فلو شربت الانسانية من الدواء لا زمها الشفاء . وكلما بعدت عن الله فتح الله لهم بابا من العلم ليصلوا عن طريقه الى الله " سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق (١) . ولكنهم يزدادون بعدا عن القانون الالهى الذى أوجده الله للانسانية الشامل لجميع أفرادها على اختلاف أجناسهم وألوانهم " ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم " (٢) .

وفى عصر الثقافة — والله يعلم أن العصور تتوالى وتأخذ طريقها الى القمر والانسان يغوص فى أعماق البحار — فلابد أن يكون القرآن الذى أمر العالم كله باتباعه وأعطاهم حرية عقديه له فلابد أن تكون طبيعة هذا الكتاب موائمة لطبائع العصور التى تجد الى يوم القيامة .

ومن هنا نجد القرآن فى حديثه عن الشخصيات توجه الى المعانى

---

(١) التحريم ١٢

(٢) المائدة ٧٥ .

المجردة عن الأنساب ليعطى النص حركة العمل ويشخص المعنى
ويجعل الصورة تتحرك مدى الأجيال المتعاقبة ·
وهذا وجه من وجوه اعجازه من ناحية أسلوبه بكل ما فيه من اختيار الحرف
مع الحرف لتكوين الكلمة ، واختيار الكلمة مع الكلمة لتناسب المطلوب· ثم
اختيار الحرف بميزان ، واختيار الكلمة بميزان واختيار الجملة بميزان ،
ثم ما فى الاسلوب من جزالة وفواصل وحروف وموسيقى عذبة — ان صح
هذا التعبير — وشعور واحساس معين يوثر فى النفس من حيث لا تشعر
ومن هنا نجد أيضا القرآن فى حديثه عن الشخصيات لم يحدد أنسابها
لأنه ليس كتاب قصص أو اخبار عن أنساب ، واذا حدد فانما يحدد لدفع
شبهة كقوله تعالى " ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها "(١) .
وقوله " ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل "(٢) .
فحدد لنفى الألوهية عنه عليه السلام وعن أمه لقوله " أأنت قلت للناس
اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما
ليس لى بحق "(٣) .
ومريم هى التى ذكرت فى القرآن منسوبة لهذا السبب " يا أخت هارون ما
كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا "(٤) .
كما انها هى التى ذكرت باسمها من النساء دون من عداها من بنات
جنسها صيانة للمرأة وحفاظا لها حتى لا تذكر باسمها فقد تعفف القرآن
عن ذكر اسمها لاسبال الستار عليها ، والقاء الخمار عليها وعلى اسمها

---

(١) التحريم ١٢ (٢) المائدة ٧٥
(٣) المائدة ١١٦ (٤) مريم ٢٨

كقوله تعالى " ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ، وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون " (١) .

وقوله " وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم (٢) "

وقوله " ان ابراهيم كان أمة ، قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين " (٣) .

" ولقد آتينا موسى الكتاب " (٤) .

فلم يذكر القرآن عن أنسابهم شيئا وعلى هذا النمط كان الحديث عن صفوته وأحبابه ورسله وأوليائه ، فعلام الضرب فى البيداء من المفسرين وراء الاخباريين والنسابين من أهل الكتاب حيث أن أهل الكتاب يقصدون خلط الأنساب لتشويه هذا الكتاب وعلى سبيل المثال نذكر ما ذكره المفسرون عن لقمان فى القرآن .

* نسب لقمان كما ذكره المفسرون :

عرف العرب بهذا الاسم شخصين أحدهما لقمان بن عاد وكانوا يعظمون قدره فى النباهه والرئاسة والعلم والفصاحة والدهاء ، وكثيرا ما ذكروه وضربوا به الأمثال كما تبين من المراجع العربية الكثيرة .

أما الآخر فهو لقمان الحكيم الذى اشتهر بحكمه وأمثاله وسميت سورة فى القرآن باسمه (٥) . لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح وهو آزر أبو ابراهيم ، كذا نسبه محمد بن اسحاق .

---

(١) التحريم ١٠ — ١١ (٢) القصص ٧

(٣) النحل ١٢٠ (٤) الفرقان ٣٥

(٥) المنتخب فى تفسير القرآن تعليق لجنة الخبراء على الاية .

وقيل هو لقمان بن عنقاء بن سرون .[1] والتصحيح ثروان[2] .
وقال الزمخشري : لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته .
وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام[3] .
وقال السهيلي : لقمان بن عنقاء بن ثروان وكان نوبيا من أهل أيلة[4]
وفي شرح موطأ مالك : هو لقمان بن باعوراء بن تارح بن آزر فهو ابن أخي ابراهيم . وذكر وهب في المبتدأ أنه ابن أخت أيوب وقيل ابن خالته والصحيح أنه كان في عصر داود ، وقيل كان يفتي قبل بعثته ، وقيل عاصر ابراهيم . وقيل كان بين عيسى والمصطفى[5] .
وقال السهيلي : اسم ابن لقمان ثاران في قول الطبري والقتبي ، وقد قيل فيه غير ذلك[6] . وقال الكلبي : مشكم ، وقيل أنعم حكاه النقاش .

لا صلة بين لقمان الجاهلي ولقمان القرآني :

لئن كان لقمان الجاهلي فهو شخصية أخرى ليس بينها وبين لقمان القرآني شبه ما ، ولسنا نعرف شيئا ما محققا عن مدى الصلة بين حكمة لقمان التي وردت في القرآن ، وبين ما احتوته مجلة لقمان التي عرضها سويد بن الصامت على الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة حوالي ٦٧٦م[7]
وكل ما يمكن أن يقال عن هذه المجلة أنها ربما احتوت عناصر كتابية .
ويسوقنا الى هذا الافتراض أن سويدا كان ممن عرفوا الكتب[8] وأنه كان من أهل المدينة حيث كان التأثير الكتابي قويا ، وأن لفظ مجلة عبراني أو

---

(١) تفسير القرطبي جـ٦ ص١٠٨ (٢) شرح موطأ مالك جـ٥ ص ٤٧٦
(٣) الكشاف جـ٣ ص ٢٣١ (٤) التعريف والاعلام للسهيلي ورقة ٣٤ مخطوطة
(٥) التعريف للسهيلي (٦) القرطبي جـ ١٤ ص ٥٩
(٧) الأمثال في النثر العربي القديم ص١٣٧
(٨) بلاذري ٤٧٩ .

آرامي ومعناها في العبرية كثيرا ما يدل على مجموعات لليهود وبالرغم من أن سويدا وأشباهه ممن عاشوا في البيئات الكتابية التي أسهم فيهــــا القرآن الكريم بنصيب عظيم ، ومن بينها حكمة لقمان من حيث أنها تحث على الايمان بالله وحب الوالدين وغير ذلك مما أيدته الكتب السماويه كما أيده القرآن الكريم [1] .

وليس لدينا دليل واحد على أن لقمان الذى عرفه سويد وأشباهه هـــو لقمان الذى حكى القرآن الكريم عنه الحكم الآتيه فيما بعد .

* آراء الباحثين والمستشرقين في لقمان :

ربط بعض الباحثين بين لقمان القرآني وأحيقار ، أو حيقار كما يسمى أحيانا في العربية هو وزير سنحريب ملك أشور وكان مشهورا بحكمته وتتلخص قصته في أنه كان غنيا وحكيما وكان قد حرم من انجاب الولد فغشيه الهم والحزن فدعا الآلهة وصلى لهم فلم يجد ذلك نفعا وتزوج ستين امرأة لعله ينجب ولدا يرث حكمة أبيه وثروته وسلطانه فلم يرزق ولدا وكان له ابن أخت يسمى نادان [2] . فوضع آماله فيه وبالغ في تربيته وتعليمـــه الحكمة حتى يكون خلفا له في خدمة سنحريب وأسدى أحيقار اليه عـــددا كبيرا من الوصايا والحكم [3] . فلما أتم أحيقار تعليمه سلم اليه ثروتـــه وبيته ولكن نادان حين وجد أمره بيده وثروة خاله في قبضته تمرد عليـــه وهزىء بشيخوخته وبدد ماله فأمر الملك بأن يتخلى نادان عن ثروة خالـه وعاود أحيقار عليه النصيحة [4] وعاتبه على ما صنع فتأثر نادان هــذه المرة تأثرا شديدا وسرت العلة في بدنه فانتفخ جسمه وانشق بطنه ومات

---

(١) الأمثـــال
(٢) في النسخ المختلفة (ناداب — نابات — نادام .. الخ) .
(٣) رندل ١ — ٣١
(٤) في النسخة العربية تبلغ ٦٦ حكمة .

فصارت آخرته للهلاك ومضى الى جهنم (١) .

يرى رندل هاريس أن هناك تشابها بين لقمان وأحيقار :

١ — فلقمان فى القرآن يحمل لقب الحكيم مثل أحيقار .

٢ — وهو يعظ ابنه مثله ويستعمل لفظ يابنى أيضا .

٣ — وبالرغم من اختلاف موضوعات العظه فان هناك بعض المشابهة الواضحة يقول أحيقار " يابنى أحن رأسك الى أسفل ، ولـيّن صوتك ، وكن متأدبا ، واسلك فى سبيل الصلاح ، ولا تكن سفيها ولا ترفع صوتك اذا ضحكت لأنه لو كان بالصوت العالى يبنى بيت كان الحمار يبنى كل يوم بيوتا كثيرة ، وورد فى القرآن واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير " (٢) .

٤ — أضف الى ذلك أن بعض المفسرين ذكروا أن لقمان هو ابن أخت أيوب (٣) كما ذكر سابقا .

وهذا يقابل وصف نادان بالقياس الى أحيقار (يعنى أنه ابن أخته) .

* **مناقشة آراء المستشرقين والباحثين :**

والظاهر أن العرب القدماء قد ربطوا بين الشخصين وان لم يذكروا اسم أحيقار صريحا ، فلعلهم سبقوا رندل هاريس الى هذه المحاولة ، والا فكيف نفهم هذا التحويل الفجائى الذى صنعته مصادر ابن قتيبة والسهيلى فى تسمية ابن لقمان ناران أو ثاران (٤) بدلا من

---

(١) الأمثال ص ١٣٨ ، ١٣٩ (٢) لقمان ١٩
(٣) قول ينسب الى وهب بن منبه فى المبتدأ أو الخبر .
(٤) الروض ١ / ٢٦٦ ، معارف ٢٥ .

الاسم القديم لقيم ، فلعل هذا التحويل مبناه أنهم وجدوا شيئا مـــن التشابه بين قصة أحيقار وابنه نادان — أو بين قصة أخذت منها — وبين ما حكاه القرآن الكريم عن لقمان فجعلوا ابنه ثاران [1] أو ثاران — ولعله نادان — ليكون لقمان هو أحيقار بعينه والذى نعرفـــه أن القدماء من العرب عرفوا أحيقار باسمه من مصادر كتابية فقد ذكره عـــدى ابن زيد شاعر الحيرة المسيحى [2] .

وربما اطلع المسلمون القدماء من المتصلين بأهل الكتاب على بعض أسفار الكتب المقدسة ومنها سفر طوبيا من الأسفار المحذوفة اذ ورد فيه هـذا الاسم نادان (١٤ : ١٠) ·

(لقد ذهب نادان الى الظلام ، و " منه " أعطى الصدقات ، فنجـــا من شرك الموت الذى نصبه له نادان ، بل ان نادان وقع فى الهـــلاك وهـــــلك) ·

وأثبت الباحثون المحدثون أن الصلة وثيقة بين سفر طوبيا وقصـــة أحيقار ، وان قصة أحيقار أقدم من سفر طوبيا ، وأن هذا قد ألـــف فى القرن الأول أو الثانى قبل الميلاد فاستفاد من القصة ومن أسماء أبطالها الى حد كبير [3] .

ومن الملاحظ كذلك أن أقوال أحيقار تتفق مع بعض آيات سفر المزامـــير والأمثال والجامعة ودنيال وابن سيراخ [4] .

كما أنه من الواضح أن الأدلة التى أوردها " رندل هاريس " غير كافيـــة لاثبات هذه الصلة فان استخدام لفظ يابنى فى حكمة لقمان وأحيقار ليس

---

(١) الأمثال ص ١٣٩ (٢) غويطاين ١٧٤ كما ذكر فى الأمثال
(٣) رندل هاريس (٤) الأمثال ١٤٠

مقصورا عليهما بل هو أمر شائع في الحكم الكتابية وطريقة متبعة فيها وقيل هذا بكثير فقد قال نوح لابنه " يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين"(١) فقد استعمل لفظ يا بني . وعبارة أحيقار وما معنامن لفظ يا بني ليس دليلا وحده على أن الصلة بين الشخصين كانت صلة تاريخية أو صلة مباشرة على الأقل .

* مناقشة آراء المفسرين :

ولم يقف العلماء القدماء عند ربط لقمان القرآني بأحيقار بل أوجدوا الصلة بينه وبين شخصية أخرى وهي بلعام فيروى الثعلبي عن محمد بن اسحاق أنه هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح .
وعن وهب بن منبه أنه كان ابن أخت أيوب عليه السلام (٢) .
ويقول ابن قتيبة : أنه كان في زمن داود النبي عليه السلام ، ولم يكن نبيا في قول أكثر الناس(٣) . وهذا تحويل آخر لنسب لقمان فقد خطر لبعض المفسرين أو الاخباريين أن يكون هو بلعام فجعلوا نسب لقمان (لقمان ابن باعور) لأن نسب بلعام المعروف في التوراة هو بلعام بن باعور وبذلك فرقوا بين الشخصين وكأنهم أرادوا أن يوهموا الى الناس بأن لقمان في لفظه هو ترجمة لبلعام ، لأن بلع ولقم كليهما بمعنى ثم صارت هذه الفكرة تقليدا شائعا بين المفسرين بل عرف هذا التقليد الفرنجة القدامى ، فنقله بعضهم عن العرب كما صنع بتروس الفونسوس في كتابه اذ قال : ان بلعام الذى يسمى بالعربية " لقمان " قال كذا الخ (٤) .

---

(١) هود ٤٢
(٢) الثعلبي ٣٤
(٣) معارف ٢٥
(٤) رندل هاريس

وأيد هذه الفكرة عدد من المستشرقين [1] .

وهذا أيضا ارتباط مصطنع بين الشخصين فشخصية بلعام كما صورتها الكتب القديمة مختلفة تماما عن شخصية لقمان القرآني فبلعام لم يكن كلقمان القرآني رجلا موقرا ورعا نقيا . كما أنه لا صلة بين أقوال بلعام وحكمة لقمان والغريب أن المفسرين أنفسهم الذين وصلوا بين لقمان وبلعام ، قد عرضوا لبلعام وتحدثوا عنه بما لا يتناسب مع شخصية لقمان المكرمة النقية .

قال الثعلبي : قال الله تعالى " واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين " [2] .

واختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو بلعام بن باعوراء .. الخ [3] .

وقد سبق أن لاحظ " برنارد هيلر " هذه الرابطة المصطنعة بين الشخصين حين قال : (ان الذي جعل لقمان هو لقمان بن بلعام فكرة صنفها المفسرون الذين أرادوا أن يصلوا لقمان بالكتاب المقدس بأي ثمن ومن ثم جعلوه ابنا لباعوراء كما جعلوه أحيانا ابن أخت أيوب هذه الروابط التي اصطنعها المفسرون والاخباريون بين لقمان وشخصيات الكتب السابقة ، كان لها تأثير في شرحهم لحكمة لقمان ، وتفسيرهم لشخصيته القرآنية فصاروا كلما وجدوا في الكتب القديمة شيئا عن أحيقار وغيره نسبوه الى لقمان فأضافوا الى حكمة لقمان أقوالا في الايمان وحب الوالدين والاعتدال في الحكم سنعرض لها فيما بعد وعلى سبيل المثال سريعا قوله " يا بني اختر المجالس على عينك فان رأيت قوما يذكرون الله فاجلس اليهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك ويزيدوك علما ، واذا

---

(١) الأمثال ١٤٠ (٢) الأعراف ١٧٥
(٣) الثعلبي ٢٣٠

رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس اليهم ،
وهذا يذكرنا بقول أحيقار (يا بني التصق في اناس حكما يتقون الله وكن مثلهم ولا تقرب الجاهل لئلا تصير مثله وتعلم طرائقهم [١] .
وينصح لقمان رجلا مسافرا بأن يكون مسلحا (وسافر بسيفك وخفك وعمامتك) . ويقول أحيقار : (يا بني لا تمش في طريق بغير سلاح لأنك لا تعلم متى يلقاك العدو لكي تكون مستحضرا له وينسب الى لقمان بقوله الذى أورده الميدانى (يا بني تضرع الى الطبيب قبل أن تمرض) أى افتقد الاخوان قبل الحاجة اليهم قاله لقمان لابنه [٢]
وهذا يذكرنا بقول ابن سيراخ (وقر الطبيب قبل أن تفتقر اليه)
ويروى أن لقمان قال : (ضرب الوالد لولده كالماء للزرع) [٣] .
ويقول أحيقار (يا بني لا تغض عن ضرب ابنك فان ضرب ابنك مثل الزبل للبستان) [٤] .

* فرية اسرائيلية ذكرها المفسرون :

لا نلبث أن تجد فيما نسبوه الى لقمان آثارا اسرائيلية تبدو في روحها العامة وان كنا لا نعرف مصدرها على وجه التعيين فمن ذلك قول الثعلبي والقرطبي وأكثر المفسرين [٥] كان لقمان نائما نصف النهار فجاءه النداء يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق ؟ فأجاب الصوت ، فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلوى ، وان عزم على فسمعا وطاعة ، فاني أعلم أنه ان فعل بي

---

(١) رندل هاريس ٥ (٢) ميدانى ١ / ١٥٢
(٣) الثعلبى ٣٤٢ (٤) رندل ٥
(٥) الثعلبى ٣٤١ والقرطبى جـ ١٤ ص ٦٠

أعانني وعصمني ، فقالت الملائكة لم يالقمان؟ قال لأن الحاكم بأشـر المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ، ان أصاب فأرجـو أن ينجو ، وان أخطأ أخطأ طريق الجنة ، ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ، ومن تخير الدنيا على الأخرة نفته الدنيا ولا تبقى له الأخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه ، فنام نومة فأعطى الحكمة فانتبه فتكلم بها ثم نودى داود بعده فقبلها ولم يشترط بهـا ما اشترط لقمان فهم بالخطيئة غير مرة ، كل ذلك ويعفو الله عنه ، وكان لقمان يوازيه بحكمته ، فقال له داود طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء ، وأعطى داود الخلافة وابتلى بالبلاء والفتنة .

وقال قتادة : خير الله تعالى لقمان بين النبوة والحكمة فاختـار الحكمة على النبوة ، فأتاه جبريل عليه السلام وهو نائم فذر عليه الحكمة فأصبح وهو ينطق بها فقيل له كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك ؟ فقال : انه لو أرسل الى بالنبوة عزمة لرجوت فيها العـون منه ولكنه خيرني فخفت أن أضعف عن النبوة ، فكانت الحكمة أحب الـى

قال ابن كثير : وهذا أثر غريب فهذا من رواية سعيد بن بشير وفيه ضعف قد تكلموا فيه . فالقصة كما هو ظاهر تتسم بروح غير عربية فتشير الى داود والى قبوله الحكمة بعد لقمان . وفي القصة فضلا عن ذلك ـ اشـارة الى ظلم الحكام وايثار الذل على الشرف ، واعتزال الحياة الدنيـا وهذه نزعات لا تتمشى مع الكتابة عند العرب .

* لقمـان القـرآنـي :

ولا أدر لم حرص المفسرون والاخباريون على اصطناع هـذه

الروابط على هذا النحو فليس مما يضير الشخصية القرآنية أن تكون نسيج وحدها بين حكماء الكتب السماوية وغير الكتب السماوية .

والأقرب الى الحقيقة أن لقمان القرآنى مختلف تماما عن أحيقار وبلعام وغيرهما مما أشار اليهم الباحثون كما يختلف تماما عن لقمان الذى عرفه أهل الجاهلية ولقد قال البقاعى فى تفسير " ولقد آتينا لقمان الحكمة " وهو عبد من عبادنا " (١)

وقال عنه ابن عطية فى تفسيره : لقمان رجل حكيم بحكمة الله تعالى (٢)

* لقمان الجاهلى وقصصه :

لعل أشهر حكيم من حكماء الأمثال عرفه العرب قديما وتاريخ هذه الشخصية يساير الى حد كبير تطور المثل العربى فى مراحله الثلاث ، المرحلة الجاهلية فالمرحلة الكتابية ، فمرحلة المولد .

وأثار لقمان فى كل مرحلة من هذه المراحل تتميز عن الأخرى فى وضوح وجلاء الأمر الذى حدا بالمفسرين الى اعتبار لقمان الجاهلى غير لقمان الحكيم المذكور فى القرآن (٣) . وجعل بعض الفرنجة يعدون لقمان علما على شخصيتين أو ثلاثة (٤) .

وقد رأى برنارد هلر فى مقالته القيمة فى دائرة المعارف الاسلامية أن قصة لقمان مرت بثلاث خطوات رئيسية أولاها لقمان فى الجاهلية ، يليها لقمان القرآنى ، وينتهى بلقمان صانع الخرافة وهو الذى ظهر بعد عصر القرآن (٥)

---

(١) جـ٦ ورقة ٥٤٠ (٢) جـ٨ ورقة ١٦٩
(٣) بيان ١/١٨٤ (نشرها رون)
(٤) الأمثال ص ٤٤ (٥) الأمثال ص ٤٤

واختلف النسابون فى نسب لقمان فقيل هو لقمان بن عاد وابنه لقيم وابنته صحر ، وورد هذا النسب فى شعر جاهلى [(١)]
وفى رواية كتاب التيجان المنسوب الى وهب بن منبه المتوفى ١١٠ هـ [(٢)]
وفى أمثال الضبى [(٣)] ، وفيما رواه الجاحظ [(٤)] ، وفى المعمر للسجستانى [(٥)]
ولكننا لم نلبث أن وجدنا ابن قتيبة المتوفى ٢٧٦ هـ والسهيلى المتوفى ٥٨١ هـ يقولان فى نسبه هو لقمان بن عنقاء بن سرور فيما ذكروا وابنه الذى ذكر فى القرآن هو ناران فيما ذكر الزجاج وغيره [(٦)] .
والثعلبى يذكر نسبا آخر وهو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارح وهو آزر أبو ابراهيم عليه السلام [(٧)] .

ومن هذا يبدو أن أقدم ما انتهى الينا من نسب للقمان هو لقمان ابن عاد وأما ما ذكر من أنساب أخرى فلعلها جاءت متأخرة وكانت محاولات للتوفيق بين لقمان وشخصيات أخرى وردت فى الكتب والأخبار القديمة [(٨)] ، ويتمثل لقمان فيما روى عنه بطلا أسطوريا فهو عملاق هائل له جسم ضخم ورأس عظيم يضرب به المثل [(٩)] .
ولم يلبث أن أصبح لقمان قد اشتهر بالحكمة الكتابية قبيل الاسلام بعد أنه كان صانع أمثال شعبية تكاد تكون خالية من النغمة الكتابية الظاهرة قوامها الألفاظ ويكثر فيها المجاز والايماء والاشارة ومعاريض الكلام [(١٠)] .

---

(١) حيوان ٣ / ٦٧ ، ٤٧ سجستانى ٤ ، ضبى ٧٦
(٢) كتاب التيجان فى ملوك حمير ص ٧٨ (٣) ضبى ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦
(٤) حيوان جـ ٥ / ٣٣١ ويذكر عاديا بدل عاد . (٥) سجستانى ٣
(٦) الروض الآنف ١ / ٢٦٦ ، معارف ، ٥ (٧) الثعلبى ٣٤٠
(٨) الأمثال ص ٤٤ (٩) ٣ / ٦٧
(١٠) عسكرى ١ / ٢٨٢

ولم يكد يظهر الاسلام فى شبه الجزيرة حتى كان عزب اليمن الذين سكنوا فى الحجاز قد مهدوا لظهور لقمان الجديد أى لقمان القرآنى فرأينا كعب الأحبار وأصله من يهود المدينة ثم أسلم قد أذاع عددا من أخبار لقمان [1] .

ورأينا سويد بن الصامت يقدم الى مكة ويعرض على الرسول مجلة لقمان [2] ونكاد نرجح أن هذه المجلة كانت تتضمن شيئا عن لقمان فى صورته الكتابية يدلنا على ذلك أن سويدا كان ممن قرؤوا الكتب فى الجاهلية وأنه كان من أهل المدينة وأن لفظ مجلة عبرى أو آرامى كما قلت ذلك سابقا .

* التحقيق فى التعريف بلقمان القرآنى :

ذكر المفسرون فى التعريف به فقد قالوا : أنه عاش ألف سنة وأدركه داود عليه السلام وأخذ عنه العلم . وكان يفتى قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له : فقال ألا أكتفى اذ كفيت [3] .

والصحيح أنه كان فى عصر داود وغلط من قال عاش ألف سنة التبس عليه بلقمان بن عاد [4] وقال الواقدى : كان قاضيا فى بنى اسرائيل [5]

وعن ابن المسيب : كان أسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا أسود غليظ الشفتين متشقق القدمين . وقيل : كان نجارا وقيل كان راعيا . وقيل : كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة

(١) جواد ١ / ٢٤٢

(٢) وليس لفظ مجلة مشتقا من الجلال أو الجلالة كما زعم السهيلى (الروض الآنف) ١/٢٦٦ (٣) القرطبى ١٤ ص ٥٩

(٤) شرح موطأ مالك جـ ٥ ص ٤٧٦

(٥) القرطبى جـ ١٤ ص ٥٩ .

* **أقوال العلماء فيه والأدلة على عدم نبوته :**

أكثر أقوال العلماء أنه كان حكيما ولم يكن نبيا عن ابن عباس قال : كان لقمان عبدا حبشيا نجارا [1] وأدركه داود عليه السلام وأخذ عنه العلم وكان يفتى قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له ، فقال : ألا أكتفى اذ كفيت -. وقال الواقدى : كان قاضيا فى بنى اسرائيل وعلى هذا جمهور أهل التأويل أنه كان وليا ولم يكن نبيا [2] .

وقال قتادة : عن عبد الله بن الزبير قلت لجابر بن عبد الله ما انتهى اليكم من شأن لقمان ؟ قال : كان قصيرا أفطس الأنف من النوبة .

وعن سعيد بن المسيب قال : كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة وقال الأوزاعى : حدثنى عبد الرحمن بن حرملة قال جاء رجل أسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد ابن المسيب لا تحزن من أجل أنك أسود فانه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا ذا مشافر [3] .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع حدثنا أبى عن أبى الأشهب عن خالد الربعى قال : كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له مولاه : اذبح لنا هذه الشاة فذبحها قال اخرج أطيب مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب ، ثم قلت ما شاء الله ، ثم قال اذبح لنا هذه الشاة فذبحها

---

(١) ابن كثير جـ٦ ص ٤٥٤

(٢) القرطبى جـ١٤ ص ٥٩ (٣) ابن كثير جـ٦ ص ٤٥٤

فقال اخرج أخبث مضغتين منها ، فأخرج اللسان والقلب فقال له مولاه أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين منها فأخرجتها ، فقال لقمان : انه ليس من شيء أطيب منهما اذا طابا ، ولا أخبث منهما اذا خبثا (١) .

وقال ابن جرير : عن عمرو بن قيس قال : كان لقمان عبدا أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين فأتاه رجل وهو في مجلس ناس يحدثهم فقال له : ألست الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا ؟ قال نعم قال فما بلغ بك ما أرى ؟ قال : صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني

وعن جابر قال : ان الله رفع لقمان الحكيم بحكمته فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال له ألست عبد بني فلان الذي كنت ترعى بالأمس ؟ قال بلى . قال فما بلغ بك ما أرى ؟ قال قدر الله وأداء الأمانة ، وصدق الحديث ، وتركي ما لا يعنيني (٢) .

* مفهوم هذه الآثار :

هذه الآثار منها ما هو مصرح فيه بنفي كونه نبيا ، ومنها ما هو مشعر بذلك ، لأن كونه عبدا قد مسه الرق ينافي كونه نبيا لأن الرسل تبعث في أحساب قومها .

ولهذا فجمهور السلف على أنه لم يكن نبيا .

* القائل بنبوته :

قال عكرمة والشعبي بنبوة لقمان على أن ابن كثير قال : ان صح السند عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة قال : كان لقمان نبيا

---

(١) ابن كثير جـ٦ ص ٥٤٥ (٢) ابن كثير جـ٦ ص ٤٥٥ .

وجابر هذا هو ابن زيد الجعفي وهو ضعيف (١)

* وصف أحوالـه :

قال عبد الله بن وهب أخبرني عبد الله بن عياش عن عمر مولى غفرة قال : وقف رجل على لقمان الحكيم فقال : أنت لقمان ، أنت عبد بني الجسحاس ؟ قال نعم قال : أنت الأسود ؟ قال أما سوادى فظاهر فما الذى يعجبك من أمرى ؟ قال وطء الناس بساطك وغشيهم بابك ، ورضاهم بقولك ، قال يا ابن أخى ان صغيت الى ما أقول لك كنت كذلك ، قال لقمان : غض بصرى ، وكف لسانى ، وعفة طعمى ، وحفظ فرجى ، وقول بصدقى ، ووفائى بعهدى وتكرمى ضيفى ، وحفظى جارى ، وتركى ما لا يعنينى ، فذلك الذى صيرنى الى ما ترى .

وقال ابن أبى حاتم عن أبى الدرداء أنه قال يوما وذكر لقمان الحكيم فقال : ما أوتى ما أوتى من أهل ولا مال ولا حسب ولا اخصال ، ولكنه كان رجلا صمصاما سكيتا طويل التفكير عميق النظر لم ينم نهارا قط ولم يره أحد قط يبزق ولا يتنخع ولا يتبول ولا يتغوط ولا يغتسل ولا يعبث ، ولا يضحك ، وكان لا يعيد منطقة نطقه الا أن يقول حكمة يستعيدها اياه أحد وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا فلم يبك عليهم وكان يغشى السلطان ويأتى الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر فبذلك أوتى ما أوتى (٢) .

---

(١) ابن كثير جـ٦ ص ٤٥٥
(٢) ابن كثير جـ ٦ ص ٤٥٥

* الحكمة عند القدماء :

اذا نظرنا الى حكماء البشر ومعلميهم وجدنا أقدم حكمة مصرية وصلت الينا ، وهى حكمة الوزير بتاح حتب يخاطب فيها ابنه (٢٤٥٠ قبل الميلاد) ويقدم اليه خلاصة تجاربه فى الحياة ليستعين بها على ممارسة منصبه الجديد الذى سيتولاه بعد والده الوزير وكان والده قد طعن فى السن .

وحرص أحيقار ـ حكيم أشور ـ على هذه الطريقة فى التربية فتمنى أن يكون له ولد يلقنه الحكمة فلما أدركه اليأس لقنها ابن أخته نادان وصنعة يابنى شائعة ، وسفر الأمثال ولعلها أطلقت فيه مجازا على التلميذ الناشئ بصفة عامة (١ : ٧ ـ ٩ : ١٨) .

وعنى هذا السفر فوق توجيه الحكمة الى الأبناء والنشئ ببيان أساليب تربيتهم وتأديبهم فأكد أكثر من مرة ضرورة استخدام العصا وتلقى أحبار اليهود هذه الطريقة ، فى عصر التلمود وأضافوا اليها [١] .

وعرفت فكرة توجيه الحكمة الى الأبناء والنشئ فى السريانية [٢] وشاعت فى آداب أخرى غير السامية كالفارسية والسريانية [٣] .

وفى نقش بابلى يفتخر الملك أشور بانيبال بأنه تعلم الحكمة من آلهة الحكمة مثل نابو ومردوك وأنه عرف صفة آداب الحكيم وفهم أسرار الكتب والكتابة [٤] . وكان الوزير الآشورى أحيقار يلقب بالحكيم والكاتب العلامة ومستشار أشور [٥] وفى اسرائيل دونت مجموعات من الحكم كان

---

(١) بولانو ٢٤١ . (٢) مراد ويكرى ص ٢٦ وما يليها
(٣) مسكوبة ٧٤ ـ ٨٥ ، ٢١٢ ـ ٢٢٨ ، ٢٧٠ ـ ٢٧٨ .
(٤) ديورانت ٢ / ٢٨٤ (٥) بنتسن ١ / ١٧٠ .

يوجهها الحكماء الى أبنائهم أو كانوا يؤلفونها من أجل الملــــوك
وحظى سليمان بشهرة لا نظير لها في الحكمة وكان يجمع اليها الملــك
والنبوة وقد نسب اليهم سفر الأمثال وكثير من الحكم الواردة في التــوراة
وربما كان الغرض من ذلك التمكن من توريث الحكمة للاحقين من الطلاب
وكانت مادة الحكمة تتسع حتى تشمل الشئون الروحية والزمنية فاقترنــت
الحكمة منذ أقدم عصورها بالشئون الدنيوية والغيبيات وعد الحكمــاء
رؤساء السحر (أشعيا ٣ : ٣)
ومفسرى أحلام (تكوين ٤١ : ٢٦)
وشعراء (ملوك أول ٥ : ٩ ــ ١٤)
وعرف الحكماء في مصر بأنهم قوم يوصى اليهم من الاله توت ٠
وعدت الحكمة هبة من الاله تابو في بابل وللحكمة اله اسمه نقوش رأس
شمرا وفي اسرائيل ردوا صدرها الى " يهوه " وهو الذى خلق الحكمــة
أول ما خلق (أمثال : ٥٨ ، ابن سراح ١ : ٢٤) ٠
وامتدحت الأديان السماوية الحكمة وقرنتها بالكتب المقدسة ، وارتبطت
الحكمة في أفهام العرب القدماء بالغيبيات [1] كذلك فكان مــــن
الحكماء من اشتغل بالكهانة مثل زهير بن جناب القضاعى [2] وكــان
منهم رجال دين مثل قس بن ساعده ، وعرفوا الصلة بين الحكمة والكتاب
وسمى الرجل الذى يجيد الحكمة والكتاب بالكلمة وسموه الكامل أيضــا
ومن هذه الطبقة سويد بن الصامت وحضير الكتائب "[3] .

---

(١) الأمثال ص ٢١ (٢) سجستانـى ٢٥

(٣) بــلاذرى ٤٧٦ ٠

كذلك كان الجانب الدنيوى الزمنى من اختصاص الحكمة فنسبت اليهم أقوال فى الفصل فى المنازعات وفى وسائل تصحيح الأبدان والعقول [١] وأكثر حكماء العرب فى الجاهلية من سوق الحكمة الى الأبناء وفعل هذا ذويد بن فهد وأكثم بن صيفى ، وأسيد بن أوس التميمى وقس بن ساعدة [٢] .

* الحكمة فى القرآن :

ان الحكمة تورث طول العمر (سفر الأمثال ٦ : ٢٣) كما تجلت عناية الاسلام بتعليم النشئ وايصاء الحكمة اليهم ومن بين ذلك ما حكاه القرآن عن لقمان ، وعرفت فيما بعد طريقة الايصاء الى الأبناء بين المفكرين الاسلاميين فاتخذوها فى رسائلهم يخاطبونه بالحكمة [٤] .

وقد وصف الله نفسه فى القرآن بأنه حكيم وورد فيما يقرب من مائة موضع وقرر أنه واهب الحكمة ومعلمها " يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا " [٤] فمن سعته وعلمه وحكمته أنه يهب من صفاته ما يشاء لمن يشاء بأنه يؤتيه الحكمة فيوقعه على علم ما خفى من هذه الأمثال المتقنة والأقوال الحسنة تصريحا وتلويحا ويوفقه للعمل بذلك انشاء وتصحيحا فقال تعالى منبها على ترجيج العمل بأمر الرحمن وقبول وعده والحكمة بأنه على مقتضى العقل والحكمة فان الحكيم

---

(١) بنتسن ١ / ١٧٠ ، ويراجع عن حكماء العرب . بلوغ الارب ١ : ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٣٨ ، سجستانى ٤٤ ، ٤٥ ـ ٤٨ ، التمهيد الى تاريخ (٤)

(٢) سجستانى ١٢ ، ٢٠ ، ٥١ (٣) جبور ٢٢٤ ـ ٢٢٥ هامش

(٤) البقرة ٢٦٩ (٥) الاسراء ٣٩ .

من داوى أدواء الدنيا بدواء الدين وضم جوامعها فى تيسير الكلم كما ضمها لمن اصطفاه فقال : " ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة (١) وقال " يوءتى الحكمة من يشاء " فصرح من حلاه بها فقال مشيرا ببناء الفعل للمجهول الى أنها مقصودة فى نفسها ومن يوءت الحكمة التى هى صفة من صفاته ، واشارة التعريف الى كما لها بحسب ما تتحمله قوى العبيد .

والحكمة قوة تجمع أمرين العلم المطابق لفعل العبد وهو العمل على وفق العلم . قال الأصبهانى : والقرآن مملوء من الآيات الدالة على أن كمال الانسان ليس الا فى هاتين القوتين (٢) .

فهى العلم المزين بالعمل والعمل المتقن بالعلم ولقد كان لقمان العبد الصالح نموذجا تطبيقيا للحكمة فأبرز العلم الموءيد بالعمل والعمل المحكم بالعلم ، وكان لقمان رجلا حكيما بحكمة الله تعالى وهى الصواب فى المعتقدات والعقل فى الدين والعمل (٣) وقال ابن ميباق ان مدارها على اصابة الحق والصواب فى القول والعمل ، ولهذا قال ابن قتيبة لا يقال لشخص حكيما حتى تجتمع له الحكمة فى القول والفعل قال : فلا يسمى المتكلم بالحكمة حكيما حتى يكون عاملا بها (٤) .

* الخير الكثير الذى حظى به لقمان :

لقد امتن الله على لقمان بالحكمة فى قوله : " ولقد آتينا لقمان الحكمة " وبطبيعة هذه الآية نعلم مدى ما وصلت اليه منزلة لقمان عند الله وأنه حظى بالخير الكثير من ربه كما يفهم من قوله فقد أوتى

(١) الاسراء ٣٩
(٢) البقاعى جا ص٤٨٧ المخطوط بدار الكتب تحت رمز تفسير رقم ٢١٣
(٣) تفسير ابن عطية المخطوط بدار الكتب المصرية جـ٨ ص ١٦٩ تحت رمز تفسير ١٠ (٤) البقاعى

خيرا كثيرا . قال الحرالى : انه نكره لما فى الحكمة من التسبب الذى فيه كلفة ولو يسرت فكان الخير الكثير المعروف فى الكلمة لما فيها من اليسر والحياطة والانالة الذى لا ينال منه منال بسبب وانما هو فضله يؤتيه من يشاء فيهيد سبحانه سمعه وبصره الى آخره وكان التقدير فان ذلك أولى الحكمة فيعيد ذا لب فيتأهل لأن يتذكر بما يلقيه الله مابث فى الأنفس والآفاق وقال الحرالى : الذين لهم لب العقل الذى ينال لب الحى كأن الدنيا قشر ينال بظاهر العقل والآخرة لب تنال بلب العقل ظاهر الظاهر وباطنا لباطن من تذكر ابتداء من الابتداءات السابقة ورد عليه فضل الله منه من رجع من حسه الى نفسه تنشأت له أوصاف الفضائل النفسانية وترقى عما فى محسوسه من المهاوى الشهوانية ومن تخلص من نفسه الى روحه تحسن بالوصلة الرحمانية والمحبة الربانية كذلك من ترقى من روحه الى أمر تحقق بالاحاطة الوحدانية ومن استبطن من أمره الى سره اجتمع الى الأولية الفردانية فهذا الترتيب من كمالات هذه الحكمة المؤتاه المنزلة بالوحى فى هذا الكتاب الجامع لنبأ ما سبق وخير ما لحق وباطن ما ظهر (١) .

وكفاه خيرا ما كان من وصاياه جماع القرآن الكريم التى سنعرض لها بالشرح فيما بعد ، كما يكفيه خيرا أن كان قدوة عملية .

* لقمان الحكيم قدوة عملية :

اذا نظرنا الى أقوال الفلاسفة لوجدناهم يقولون ان الفيلسوف هو محب الحكمة بتحليل أجزاء كلمة فلسفة ولقمان لم تكن محبا للحكمة

(١) نظم الدرقى تناسب الآى والسور جـ١ ورقة ٤٨٧ .

بهذا المعنى بل كان قدوة عملية وبرهنة حقيقية لتطبيق هذه الكلمة حتى استحق أن يسجل الله على لسانه هذه الحكم العملية ودليلنا على أن لقمان كان قدوة عملية هذه الآيات التالية دعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام " ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم " .

فالكتاب هو ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين والكتاب جماع الحكمة والحكمة هي الناحية التطبيقية لذلك الكتاب فكان محمد صلى الله عليه وسلم معلما للحكمة وليس فيلسوفا بالمعنى المعروف عند الفلاسفة لقوله كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون "

" واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا "

" واذ أخذ الله ميثاق النبين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم "

ففهمنا من هذه الآيات أن الحكمة شيء آخر غير الكتاب ، وأن الكتاب هو جماع الحكمة كما فهمنا أن الرسول كان معلما ومطبقا للحكمة حتى نبهت أزواجه الى تطبيق الحكمة ، فكان من لقمان أن طبقها في نفسه ثم أخذ يشد غيره اليها .

* الحكمة في أسلوبها العملي :

ترجمت حكمة العبد الصالح لقمان في شكره لله تعالى " أن اشكر لي " فأن مفسره أي كانت حكمته دائرة على الشكر لله تعالى ومعانيه وجميع العبادات والمعتقدات داخلة في شكر الله تعالى فلما

(١) تفسير ابن عطية جـ٨ ص ١٢٠

كانت الحكمة هي الاقبال على الله تعالى قال : " آن اشكر " وهو وان كان تقديره قلنا له كذا يؤول الى آتيناه الشكر بأن وفقناه له بمـــا سببناه له من الأمر به لأن الحكمة في الحقيقة هي القيام بالشكر لا الايضاء به .

ويمكن أن يكون آتيناه الحكمة بسبب الشكر (١) والشكر أساس الايمان ورأس الحكمة (٢) . والشكر لله طاعته فلا يكفي أن يتفوه الانســـان بألفاظ الحمد والشكر بل شكر الله أوسع وأكبر من هذا فهو شكر على النعم وتسخير ما أنعم الله به على الانسان في الطاعة فاليد واللســان تتخذ هذه النعم وسيلة للشكر .

* المعاني الأخلاقية المستفادة من الأمر بالشكر :

لا يتأتى ذكر الشكر مجردا الا وهو يشير الى :
المعاني الأخلاقيـــة الآتيـــه :

١ ـ عندما يفقد الانسان عزيزا لديه فما عليه الا الصبر والاستسلام ، فليس أعز من المصطفى صلى الله عليه وسلم " أفئن مات أو قتـــل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكريـــن " .

٢ ـ العمل للآخرة والتزود بزاد التقوى وتذكر الموت والفناء وهـــذه ترجمة للشكر " وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزى الشاكريـــن

(١) نظم الدرر في تناسب الآى والسور جـ ٦ ص ٤٤ ه
(٢) أوضح التفاسير لابن الخطيب .

٣ ـ الاحسان الى الوالدين " أن اشكر لى " لأن الله هو المنعم بالحقيقة " ولوالديك " لكون الله جعلهما سببا لوجود الانسان والاحسان بتربيته وذكر الانسان بهذا الذكر فى صورة الحكمة اشارة الى أنه أتم الموجودات حكمة [(١)]

قال الرازى فى آخر سورة الأحزاب : الموجودات كلها كالشجرة والانسان ثمرتها ، وهى كالقشور والانسان لبابها ، وكالمبادى والانسان كمالها ومن أين للعالم ما للانسان بل العالم العلوى فيه وليس فى العالم العلوى ما فيه فقد جمع بين العالمين بنفسه وجسده واستجمع الكونين بعقله وحسه وارتفع عن الدرجتين باتصال الأمر الأعلى به وحيا قوليا . وسلم الأمر لمن له الخلق والأمر تسليما اختياريا طوعيا .

فلا عجب أن يكرمه الله فى كتابه الكريم ويوجهه الى شكره وشكر والديه قال سفيان بن عيينة : من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى ، ومن دعا لوالديه فى أدبار الصلوات فقد شكرهما [(٢)] .

٤ ـ أوقات الشباب حينما يصل لسن الأربعين فعليه أن يخلص النية والعزم وهذا هو الشكر " حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه " .

---

(١) نظم الدرر ص ١١٩
(٢) تفسير ابن عطية ورقة ١٧١

٥ ـ توجيه الانسان الى الشكر على النعم الجليلة المهداة اليـه من المولى من بداية وجوده " والله أخرجكم من بطون أمهاتكـم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكـم تشكـرون " .

فأفرد السمع وجمع الأبصار والأفئدة لأن البصر يتغير بتغـيرات متعددة فتجد المنظر في حالة التصوير يتغير في التقاطه أثنـاء التصوير من حيث زواياه المختلفة من اليمين أو اليسار أو الجهات الست وفوق مستوى النظر وتحت مستواه . أما السمع فالموجـات الصوتيه تحدث صوتا يملأ الهواء ويصل الى الأذن فلذلك أفـرد السمع وجمع الأبصار .

وفي تقديم حاسة السمع على الابصار لأن حاسة السمع تبدأ عنـد الطفل أولا ثم يأتي البصر ثم الفؤاد بعد ذلك فسبحان من أوجد هذه النعم في الانسان أفلا تتوجه اليه بالشكر على هذه النعـم كما أن الشكر من خلق الرسل عليهم السلام وجاء به بعد أن أنعم الله عليهم بالنعم . فالرسل هم الذين يعلموننا معنى الشكـر ويتواطئون أمام هذه النعم . كما أن الله وصف رسله بأنهـم كانوا شاكرين فنوح الذى عاش ألف سنة الا خمسين عاما في طاعـة الله يدعو اليه سرا وجهرا ليلا ونهارا وما ترك وسيلة من وسائـل التبليغ الا اتخذها حتى قال الله عنه " أنه كان عبدا شكـورا" فاستحق أن يطلق عليه لقب الشكور .

وابراهيم الذى قدم من التضحيات أجلها جاءه على كبر سنه أمانـة من الله وأقدم على الذبح ابتغاء مرضاته " واذ ابتلى ابراهيم ربه

بكلمات فأتمهن " قال فيه ربنا بعد هذه النعم " ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه

وسليمان عليه السلام الذى أعطاه الله ملكا لم يعطه الله لأحد قبلــه ولا لأحد بعده وسخر له الريح وأطلق يده فى الأرض وهذا النبى الكريم مر بجيشه على مملكة النمل فنقلت الريح أن ملكة النمل تحذر من جيــش سليمان وتقول لهم لا تنشغلوا عن شكر الله . ولم يسخر منها بل بكــى واهتز قلبه وطلب من الله أن يعينه على شكر نعمه وأن يحسن خاتمتــه " حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلــوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا مــن قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والــدى وأن أعمل صالحا ترضاه " .

وحينما طلب من أتباعه أن يحضروا له مملكة سبأ من اليمن وهو فــى فلسطين تقدم اليه عفريت وقال سليمان أنا أريد أسرع من هذا فتقــدم رجل من الصالحين أعطاه الله علمه الأزلى هذا الرجل استطاع أن يأتى بعرش ملكة سبأ مع أنه لا يستطيع حملة الا مئات الرجال فالله حطم لــه الزمان والمكان وقال مخبرا عنه " أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفـك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفــر ومن شكر فانما يشكر لنفسه " وغير هذا كثير .

وما هى كيفية الشكــر ؟

هل يكفى أن يقول الشخص أنا متوجه اليك بالحمد أو الشكر ؟ لا يكفــى ذلك بل شكر الله أوسع وأكبر من هذا فهو شكر على النعم وتسخير مــا أنعم الله به عليه فى الطاعة فاليد واللسان وجميع الأعضاء تتخذ وسيلة

من وسائل الشكر ومن هنا يكون الشكر هو عين الحكمة . ويكفى أن الله أسبغ على لقمان الحكمة وجعلها ممثلة فى الشكر فلا أدرى بعد ذلك لم أكثر الأدباء والمفسرون فى إيراد الحكم على لسان لقمان ولم يقتنعوا بما أورده الله على لسانه من الاعتقادات والعمليات والأخلاقيات وكانت هذه الوصايا جماع ما فى القرآن .

* حكم لقمان غير القرآنية :

ذكر الامام مالك كثيرا من حكم لقمان ، وذكرت بعض كتب التفسير والأدب ألوانا من هذه الحكم ، ثم جمعت أمثالا قصصية بعد ذلك فى كتاب اسمه أمثال لقمان ولكن ضعف أسلوبها وكثرة أغلاطها النحوية والصرفية وعدم ورود كتاب بهذا الاسم فى كتب العرب القديمة يؤكد أنه موضوع فى عصر متأخر (1) .

عن ابن عمر قال : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان لقمان الحكيم كان يقول : ان الله اذا استودع شيئا حفظه "

وعن القاسم بن مخيمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه يابنى اياك والتقنع فانه مخوفة بالليل مذمة بالنهار .

وعن الثرى بن يحى قال لقمان لابنه يا بنى ان الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك . وعن عون بن عبد الله قال : قال لقمان لابنه يا بنى اذا أتيت نادى قوم فارمهم بسهم الاسلام يعنى السلام ثم اجلس فى ناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا فان أفاضوا فى ذكر الله فأجل

---

(1) المنتخب فى التفسير

سهمك معهم وان أفاضوا فى غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم وعن حفص ابن عمر قال وضع لقمان جرابا من خردل الى جانبه وجعل يعظ ابنه وعظة ويخرج خردلة حتى نفذ الخردل فقال يابنى لقد وعظتك موعظة لو وعظها جبل تفطرقال فتفطر ابنه .

وقال أبو القاسم الطبرانى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة لقمان الحكيم والنجاشى وبلال المؤذن "

قال الطبرانى : أراد الحبشة (١)

ومن حكمه التى وردت فى غير القرآن نعلم الفرق بينها وبين ما ورد فى القرآن مما يجعلنا فى حل من عدم تصديقها فما ورد فى القرآن فيه الكفاية ولا حاجة لكثرة الحكم التى وردت عنه .

ومن حكمه عن مالك رضى الله عنه أنه بلغه أن لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال يابنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فان الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض الميتة بوابل السماء" (٢) .

وعن مالك أنه بلغه أنه قيل للقمان ما بلغ بك ما ترى ؟ فقال لقمان صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنينى " (٣) وقال خالد الربعى : كان نجارا فقال له سيده : اذبح لى شاة وآتنى بأطيب مضغتين ، فأتاه باللسان والقلب ، فقال له ما كان فيها شىء أطيب من هذين فسكت ثم أمره بذبح شاة أخرى ثم قال به ألق أخبث مضغتين ، فألقى اللسان والقلب ، فقال له أمرتك أن تأتينى بأطيب مضغتين فأتيتنى باللسان

(١) ابن كثير فى تفسيره (٢) الموطأ جـ٢ ص١٠٠٢
(٣) شرح موطأ مالك جـ٥ ص٤٧٦

والقلب ؟ فقال له انه ليس شيء أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا [1] .

وقيل له أى الناس شر ؟ قال الذى لا يبالى أن رآه الناس مسيئا . وقال وهب بن منبه : قرأت من حكم لقمان أرجح من عشرة آلاف باب [2]

وروى أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدروع ، وقد لين الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله ، فأدركته الحكمة فسكت ، فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة ، وقليل فاعله ، فقال له داود بحق ما سميت حكيما [3]

وقيل ان مولاه دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان : ان طول الجلوس على الحاجة يفجع منه الكبد ويورث منه البواسير ويصعد الحرارة الى الرأس ، فأجلس هونا قال فكتب حكمته على باب الحشى [4]

قال عبد الله بن دينار : قدم لقمان من سفر فلقى غلامه فى الطريق فقال ما فعل أبى قال مات قال ملكت أمرى ، قال ما فعلت امرأتى ؟ قال ماتت قال جدد فراشى ، قال فما فعلت أختى ؟ قال ماتت قال سترت عورتى ، قال ما فعل أخى ؟ قال مات قال انقطع ظهرى [5]

وهذه الحكمة وما قبلها مباشرة يشتم منها رائحة الاسرائليات

وقيل له ما أقبح وجهك ؟ قال تعيب على النقش أو على فاعل النقش

وفى كتاب من لا يحضره الفقيه قال لقمان لابنه : يا بنى ان الدنيا بحر عميق وقد هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينتك فيها الايمان بالله واجعل

---

(١) القرطبى جـ ١٤ ص ٦٠ (٢) القرطبى جـ ١٤ ص ٦١

(٣) المرجع السابق

(٤) مجمع البيان فى تفسير القرآن جـ ٥ ص ٢٠١

(٥) مجمع البيان فى تفسير القرآن جـ ٥ ص ٢٠١

شراعها التوكل على الله ، واجعل زادك فيها تقوى الله فان نجوت فبرحمة الله وان هلكت فبذنوبك .

وروى سليمان بن داود المنقرى عن حماد بن عيسى عن أبى عبيد قال وصية لقمان لابنه يا بنى سافر بسيفك وخفك وعمامتك وخبائك وسقائك وخيوطك ومخرزك وتزود معك من الادوية ما تنتفع به أنت ومن معك وكن لأصحابك موافقا الا فى معصية الله عز وجل يابنى اذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم فى أمرك وأمورهم وأكثر التبسم فى وجوههم وكن كريما على زادك بينهم فاذا دعوك فأجبهم ، واذا استعانوا بك فأعنهم واستعمل طول الصمت وكثرة الصلاة وسخاء النفس بما معك من دابة أو ماء أو زاد واذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم واجهد رأيك لهم اذا استشاروك ثم لا تقدم حتى تتثبت وتنظر ، ولا تجب فى مشورة حتى تقوم فيها وتقعد وتنام وتأكل وتصلى وأنت مستعمل فكرتك وحكمتك فى مشورته فان من لم يمحض النصيحة لمن استشاره سلبه الله رأيه واذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم فاذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم واسمع لمن هو أكبر منك سنا واذا أمروك بأمر وسألوك شيئا فقل نعم ولا تقل لا. فان لا عى ولوم ، واذا تحيرتم فى الطريق فانزلوا واذا شككتم فى القصد فقفوا وتآمروا ، واذا رأيتم شخصا واحدا فلا تسألوه عن طريقكم ولا تسترشدوه فان الشخص الواحد فى الفلاة مريب لعله يكون عين اللصوص ، أو يكون هو الشيطان الذى حيركم ، واحذروا الشخصين أيضا الا أن تروا مالا أرى لأن العاقل اذا أبصر بعينه شيئا عرف الحق منه ، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، يا بنى اذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرها لشىء ، صلها واسترح منها فانها دين وصل فى جماعة ولو على رأس زج .

ولا تمنا من على دابتك فان ذلك سريع فى دبرها وليس ذلك من فعل الحكماء الا أن تكون فى محمل يمكنك التمدد لاسترخاء المفاصل فاذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وابدأ بعلفها قبل نفسك فانها نفسك واذا أردتم النزول فعليكم من بقاع الأرض بأحسنها لونا وألينها تربة وأكثرها عشبا ، واذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تجلس ، واذا أردت قضاء حاجتك فابعد المذهب فى الأرض ، واذا ارتحلت فصل ركعتين ثم ودع الأرض التى حللت بها وسلم على أهلها فان لكل بقعة أهلا من الملائكة وان استطعت أن لا تأكل طعاما حتى تبتدئ فتصدق منه فافعل ، وعليك بقراءة كتاب الله ما دمت راكبا ، وعليك بالتسبيح ما دمت عاملا عملا ، وعليك بالدعاء ما دمت خاليا واياك والسير فى أول الليل الى آخره ، واياك ورفع الصوت فى سيرك (١) .

وهذا الكلام يدفعنا الى الشك فيه حيث أن البون شاسع بين ما ورد فى القرآن من وصايا على لسانه وبين ما نقله الاخباريون عشاق الأقاصيص بما فيه من ركاكة الأسلوب وغثاثة المعنى أما ما أخبر الله به على لسانه فهو جماع ما دعا اليه القرآن .

* التربية بالموعظة :

فى النفس استعداد للتأثر بما يلقى اليها من الكلام وهو استعداد موقت فى الغالب ولذلك يلزمه التكرار .

والموعظة المؤثرة تفتح طريقها الى النفس مباشرة عن طريق الوجدان وتهزه هزا وتثير كوا منه لحظة من الوقت كالسائل الذى تقلب رواسبه

---

(١) مجمع البيان فى تفسير القرآن جـ٥ ص ٢٠٣ .

فتملأكيانه ولكنها اذا تركت تترسب من جديد لذلك لا تكفى الموعظـــة
وحدها فى التربية اذا لم يكن بجانبها القدوة المنظورة الملموسة هــى
التى تعلق المشاعر ولا تتركها تهبط الى القاع وتسكن بلا حراك .
وحين توجد القدوة الصحيحة فإن الموعظة تكون ذات أثر بالغ فى النفـس
تصبح دافعا من أعظم الدوافع فى تربية النفوس ثم أنها من جانـــب
آخر ضرورة لازمة ففى النفس دوافع فطرية فى حاجة دائما للتوجيه والتهذيب
ولابد فى هذا من الموعظة فقد لا يلتقط الانسان القدوة الصالحة أو قـد
لا تكفيه بمفردهـــا .
قد لا يسرق الوالد ولا الأم ولكن الطفل يجنح الى السرقة بدافع مـــن
دوافع الأطفال . وقد لا يكذب الوالد ولا الأم ولكن الطفل يكذب ليكمل
نواحى النقص التى يحسها فى نفسه أو فى بيته أو فى والديه . قـــد
لا يقسو الوالد ولا الأم ولكن الطفل يمسك الطيور فيخنقها والقطط فيشد
ذيولها ويفصل آذانها .
لابد حينئذ من الموعظة . موعظة لطيفة خفيفة مؤثرة ترد الطفل الـــى
صوابه وتقوده على مكارم الأخلاق .
والانسان الكبير كالطفل الصغير فى حاجة دائمة الى المواعظ فقـــد
لا يلتقط القدوة الصالحة أو قد لا تكفى وحدها للتقويم . والقرآن ملىء
بالمواعظ والتوجيهات " واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه " .

* تمهيـــــد :

لما كان الانسان لا يعرف حكمة الحكيم الا بأقواله وأفعالـــــه ولا صدق الكلام وحكمته آلا بمطابقته للواقع توجه لقمان لابنه ليدلل على شكره فى نفسه ، وبعد أن طبقه على نفسه أمر به غيره فاته لا شكر يعدل البراءة من الشرك ، وساق الكلام على وجه يدل على تكرير وعظه ويوصيه بما ينفعه ويرقق قلبه ويهذب نفسه ويوجب له الخشية والعدل ، ولما كان أصل ترقيه حق الحق تصحيح الاعتقاد واصلاح العمل كانـــت البراءة من الشرك أهم فأوصاه بها أولا .

وقد قيل : كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى أسلما (1) .

وانظر الى أسلوب التخاطب حيث خاطبه بأحب ما يخاطب به مع اظهار الترحم والتحنن والشفقة ليكون ذلك أدعى لقبول النصح وليس لقمـــان هو أول السابقين الى هذا الأسلوب فى قوله لابنه " يا بنى " فقد تكلم بهذا الأسلوب أبو البشرية الثانى وهو نوح عليه السلام فى قوله " ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين "

ومن بعد نوح تكلم به أيضا ابراهيم الخليل عند مواجهة اسماعيل بنبـأ الذبح فقال : " فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام أنـى أذبحك فانظر ماذا ترى "

وبمثل هذا التخاطب الرقيق وجه يعقوب النصيحة لأولاده فقال " وقـال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم مـن الله من شىء "

وقال " يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه "

---

(1) الكشاف عن حقائق التنزيل جـ ٣ ص ٢٣٢

وبهذا الأسلوب المشعر بالعطف وجه لقمان ابنه الى تصحيح اعتقاده عن الله تعالى ٠

* اهتمام القرآن بالعقيدة :

أن أول نوع اهتم به القرآن هو ما يتعلق بأمر العقيدة فهى الأساس والقواعد التى يبنى عليها الدين

وهذه العقيدة عبارة عن العقيدة التى تتعلق بالاله والعقيدة التى تتعلق بأمر الغيب وهو المعاد وكان أمر المعاد هو الوصية الثانية من وصايا لقمان فيما جاء به القرآن ٠

ونجد القرآن قد تكفل بهذا الاساس واعتنى بأمرها غاية الاعتناء سواء منها ما يتعلق بالاله وما يتعلق بالبعث ٠

* القرآن واثبات وجود الله :

ففى جانب الاله نجد أول ما يتعرض له القرآن هو اثبات وجود الله لأنك تبحث عنه أهو موجود ؟ أم ليس بموجود ؟ وهل هناك أحد يشابهه حتى يكون شبيها له سواء أكان ندا أو نظيرا أم لا ؟ ثم صفات الاله بعد ثبوت أعظم صفة وهى الوحدانية ٠

فنجد القرآن يذكر وهو يحاج هؤلاء الذين يفهمون أن الدهر هو الذى أوجدهم فقال " أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون " فيوجه أنظارهم الى أنهم أثر من الآثار أو شئ من الأشياء ويخاطبهم الله هل خلقتم من غير شئ أم أنتم الخالقون فيردهم بين حالتين لا ثالث لهما الا أن يلزموا بذلك الثالث وكل من الحالتين باطل فى نفسه ، لأنهم لو قالوا خلقنا من غير شئ فطبيعة العقل لا تسلم بهذه النتيجة لأن البعرة

تدل على البصير ، والسير يدل على المسير ، فلو قالوا خلقنا من غير شيء معناه أنهم أثر ووجود الأثر بدون المؤثر لا يسلم به العقل على أننا نذكر في مقالات نور الاسلام للشيخ الدجوى قال في هذه المقدمة لا يقف عندها عقل الانسان بل يصل اليها عقل الحيوان فلو جئت خلف حائط ووراء هذا الحائط حمارا وضربت الحائط ضربا قويا فان الحمار سيلتفت ، وبذلك فان الطبيعة مركوز فيها أن الأثر يدل على المؤثر فتلك ملزمة بأن وجود الإنسان من غير شيء يكون مخالفا للعقل وكونهم هم الذين خلقوا أنفسهم مؤديا الى مقدمة أخرى وتلك المقدمة تؤدى الى التناقض وهو أن يكون الخالق متقدما ومتأخرا ، فجمعوا بين أمرين متناقضين وهما خلقهم أنفسهم ، أو خلقهم من غير شيء ، وكلاهما محال فالنتيجة أنه خلقهم خالق لابد من وجوده .

والخالق يحتمل أن يكون واحدا وأن يكون متعددا ، وعلى أنه واحد يثبت المطلوب " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا " .

وان كان متعددا يلزم الفساد للعالم ولكن العالم يسير على نظام دقيق ولا نرى فيه فسادا ومن ذلك يمتنع التعدد .

* الشرك ظاهرة اجتماعية :

نرى من توجيه لقمان لابنه بعدم الاشراك أن المجتمع الذى وجد فيه لقمان قد وجدت فيه عقيدة الشرك وظاهر من قوله ان الشرك لظلم عظيم أنه من كلام لقمان متصلا به في تأكيد . ويؤيد هذا الحديث المأثور أنه لما نزلت " الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم " أشفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : أينا لم يظلم فأنزل

الله تعالى " ان الشرك لظلم عظيم " فسكن اشفاقهم لذكر الله عز وجل ذلك عن عبد قد وصفه بالحكمة والسداد [1]

فنرى بذلك أن المجتمع فى عهد لقمان وجدت فيه عقيدة الشرك بعد أن سلموا بوجود الاله لكن الاله واحد أم متعدد ؟ فأشركوا معه غيره والشرك فى كل عهد اتخذ صورا متعددة وكانت ظاهرة الشرك عند اليهود وعند النصارى وعند العرب وعند المسلمين فى بعض الصور التى سنوضحها .

* منشأ عبادة الأصنام فى أطوار البشرية :

قال ابن السائب الكلبى : أول ما عبدت الأصنام أن آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم فى مغارة فى الجبل الذى أهبط عليه آدم وكان بنو شيث يأتون جسد آدم فى المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه فقال رجل من بنى قابيل بن آدم : يا بنى قابيل ان لبنى شيث دوارا يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شىء فنحت لهم صنما فكان أول من عملها وكان ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا قوما صالحين ماتوا فى شهر واحد فجزع عليهم ذووا أقاربهم فقال رجل من بنى قابيل ياقوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أنى لا أقدر أن أجعل فيهم أرواحا قالوا نعم فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل يأتى أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول وجاء القرن الثانى فعظموهم أشد من تعظيم

---

(1) تفسير ابن عطية جـ ٨ ورقة ١٧٠

القرن الأول ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا ما عظم أولـــون هؤلاء الا وهم يرجون شفاعتهم عند الله فعبدوهم وعظم أمرهم واشتـد كفرهم فبعث الله لهم ادريس عليه السلام فكذبوه ورفعه الله مكانا عليـا ولم يزل أمرهم يشتد حتى جاء نوح عليه السلام فدعاهم الى الله فعصوه وكذبوه وعلا الطوفان وطبق الأرض كلها فأهبط ماء الطوفان هـــذه الأصنام وجعل الماء يشتد جريه وعبابه من أرض الى أرض حتى قذفها الى أرض جُدّة ثم نضب الماء وبقيت على الشط نسفت الريح عليها حـتى وارتها وكان عمرو بن لحى كاهنا وكان قد غلب على مكة وأخرج منهـا جرهما وتولى سدانتها وكان له رئى من الجن وكان يكنى أبا ثمامة فقال له عجل والظعن من تهامة بالسعد والسلامة وأت ضف جدة تجد بهـا أصناما معدة فأوردها تهامة تهاب ثم أدع العرب الى عبادتهـا . فأتى شط جدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعـا العرب الى عبادتها قاطبة (١)

فأجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات فدفع اليه ودا .

* منشأ عبادة الأصنام والأوثان عند العـرب :

قال هشام بن محمد الكلبي : فى سنة ٢٠١ قال حدثنى أبى وغيره أن اسماعيل بن ابراهيم لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضا فتفسحوا فى البلاد والتماس المعاش وكان الذى سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنـه

(١) الأصنام ص ٥٠ ـ ٥٤ بتصرف

كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم وصبابة بالحرم وحبا له وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على ارث ابراهيم واسماعيل ثم سلخ ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره فعبدوا الأوثان ، وصاروا الى ما كانت عليه الأمم من قبلهم وانتجثوا أى استخرجوا ما كان يعبد قوم نوح منها على أرث ما بقى فيهم من ذكرها ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه فكانت نزار تقول اذا ما أهلت :

لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك .. الا شريك هو لك تملكه وما ملك [1] .

* أول مغير لدين اسماعيل وديانة العرب للأصنام :

أول من غير دين اسماعيل عليه السلام فنصب الأوثان وسيب السائبة ووصل الوصيلة وبحر البحيرة وحمى الحامية عمرو بن ربيعة وهو لحى بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدى وهو أبو خزاعة .

وكان الحارث هو الذى يلى أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحى نازعه فى الولاية وقاتل جرهما ببنى اسماعيل فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ، ونفاهم من بلاد مكة وتولى حماية البيت بعدهم .

(١) كتاب الأصنام لابن الكلبى ٥ — ٦

ثم انه مرض مرضا شديدا . فقيل له : ان بالبلقاء من الشام حمة ان أتيتها برأت فأتاها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الأصنام . فقال ما هذه ؟ فقالوا : نستمطر بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها . ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة .

فلما صنع هذا عمرو بن لحى دانت العرب للأصنام وعبدوها واتخذوها[1] فكان أقدمها كلها مناة وكان منصوب على ساحل البحر بقديد بين مكة والمدينة . وهى التى ذكرها الله فقال " ومناة الثالثة الأخرى وكانت قريش وجميع العرب تعظمه فلم يزل على ذلك حتى خرج رسول الله من المدينة سنة ثمان من الهجرة فلما سار من المدينة أربع ليال أو خمس ليال بعث عليا اليها فهدمها وأخذ ما كان لها فأقبل بها الى النبى[2] واللات بالطائف وكان يهودى يلت عندها السويق للحجاج وكان من أمرهم اذا تناولوا ذلك السويق من كان مريضا برئ فلما مات الرجل منهم من قال : انه دخل الحجر أو الصنم فعبدوه . ومنهم من قال اتخذوا صورته ووضعوا له تمثالا وهذا هو السبب فى اتخاذ ذلك الها ولم تزل كذلك حتى أسلمت ثقيف فبعث رسول الله المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار "[3] .

والعزى أكدوا أنه بنخلة وكانت أعظم الأصنام عند قريش وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبح[4] . وعن ابن عباس قال : كانت العزى شيطانه يأتى ثلاث سمرات ببطن نخلة فلما فتح

---

(١) الأصنام لابن الكلبى ص ٩ (٢) الأصنام لابن الكلبى ص ١٥

(٣) الاصنام لابن الكلبى ص ١٧ (٤) الأصنام ص ١٨

النبى عليه السلام مكة بعث خالد بن الوليد فقال له : ائت بطن نخلة فانك تجد ثلاث سمرات فاعضد الأولى فأتاها فعضدها فلما جاء اليه قال : هل رأيت شيئا ؟ قال : لا قال : فاعضد الثانية فأتاها فعضدها ثم أتى النبى عليه السلام فقال هل رأيت شيئا ؟ قال : لا قال : فاعضد الثالثة فأتاها فاذا هو بحبشية ناقشة شعرها واضعة يدها على عاتقها تصف بأنيابها وتولول ثم ضربها فقطع رأسها ثم أتى النبى فأخبره فقال تلك العزى و لا عزى بعدها للعرب أما انها لن تعبد بعد اليوم [1]

وكانت العرب تقول عن هذه الأصنام انها بنات الله وهن يشفعن اليه فلما بعث الله رسوله انزل عليه " أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان "

ويقول الله تعالى " يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدر الله حق قدره ان الله لقوى عزيز "

إن البشرية جمعاء لن نستطيع أن تخلق ذبابة صغيرة ولو كانوا متعاونين مع معبوداتهم .

كما أن الذبابة لو وقعت على شئ ما فتناولته بفمها لا تستطيع البشرية متعاونين على رد ما أخذته الذبابة ، ثم وضع البشرية فى كفة والذبابة فى كفة أخرى فترجح الطرفان وتساوت الكفتان ضعف الطالب والمطلوب ما قدر الله حق قدره وقد كانوا يقسمون للصنم من أنعامهم قسما بينه وبين الله عز وجل بزعمهم فما دخل فى حق الله من حق الصنم ردوه عليه ، وما دخل

(١) الأصنام ص ٢٦

فى حق الصنم من حق الله سموه له وتركوه للصنم ، وفيهم نزل :

" وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون " (١)

وكما ضل العرب فى اتخاذ الشركاء لله ضل اليهود حيث جعلوا لله ابنا

* شـرك اليهوديـة :

ولقد ضل اليهود بعد موسى فعبدوا بعلا ، وزعموا فى عهد من عهودهم ما زعمت النصارى من أن لله ابنا ، فقال القرآن حاكيا

" أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين "

وشبهوا الله تعالى بالانسان فنعتوه بأنه تعب من خلق السموات والأرض وركبوا رؤسهم فقالوا انه سبحانه ظهر فى شكل انسان وصارع اسرائيل فلم يقدر على التغلب منه حتى باركه فأطلقه (٢) .

وحكى القرآن عنهم اتخاذ عزيزا ابنا لله " وقالت اليهود عزيز ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون "

* الشـرك عند المسيحـيين :

ولقد ضل النصارى بعد عيسى فذهبوا الى عقيدة معقدة من التثليث وصارت كنائسهم من عهد قسطنطين كهياكل الوثنية الأولى وخلعوا على رجال ما هو حق الله وحده من التشريع والتحليل والتحريم

---

(١) الأصنام ص ٤٣ .

(٢) مناهل العرفـان جـ٢ ص ٢٤٠ .

حتى تعزى بهم وشنهوا العرب ورأوا أنهم أمثل من هؤلاء المسيحيين في الوثنية " ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون ، وقالوا أآلهتنا خير أم هو ؟ " ثم احتجوا على شركهم بأنهم ما سمعوا ملة التوحيد الذى جاء به الاسلام في الملة الأخرة " وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشئ يراد ، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة " أى النصرانية " (١)

ورد القرآن على هؤلاء وهؤلاء فقال " قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله "

ويقول : " يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خير لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا "

وكما ضل اليهود بعد موسى عليه السلام في اتخاذ عزيز ابنا لله كذلك ضل النصارى بعد عيسى عليه السلام فما كان من أتباعه الا أن دعوا لله ابنا وقد تشبهوا في ذلك بالهنود ، فقد كان الهنود يعتقدون أن لله ولدا يسمى كرشن فطرأ على المسيحيين أن قالوا المسيح ابن الله .

كما انحرف المسلمون بالتوسل غير المشروع .

* ظاهرة الشرك عند المسلمين :

ان الانسان المسلم يخشى على نفسه من هذه الآية الكريمة :

" وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون " فهذه الآية تنطبق علينا تماما ففي بيوتنا نواجه بخروج المرأة الى العمل ومع هذا فالانسان لا ينكر

---

(١) مناهل العرفان جـ٢ ص ٢٤٠

هذا الخروج فاذا اعتقد الانسان أن التشريع لا يصلح لهذا الزمن صار كافرا وان أنكر فمؤمن فاسق . ثم نواجه بالجمهرة الغفيرة تتوسل بالصالحين والتوسل لغة التقرب بالعمل ويطلق شرعا على معان ثلاثة :

١ _ التقرب الى الله تعالى بالأعمال الصالحة وهذا جائز مشروع اتفاقا بل منه الواجب الذى لا يكمل الايمان الا به قال تعالى : "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة"

وقال : "أولئك الذين يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب" وقد اتفق المفسرون على أن الوسيلة فى الآيتين هى التقرب الى الله بالأعمال الصالحة كالصلاة والصيام والحج وسائر العبادات.

٢ _ التوسل الى الله مستشفعا بأحد من خلقه فيما يطلبه العبد من ربه وهو جائز اتفاقا لما أن عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وقال : اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون " أخرجه البخارى .

وقد كان توسلهم بمن ذكر أن يدعو المتوسل به ويدعو معه فهو شفيع لهم ، وسائل لا مسئول .

٣ _ التوسل الى الله بالاقسام عليه بأحد من خلقه وهو ممنوع عند الجمهور لأنه لم يقع من الصحابة رضى الله عنهم فى الاستسقاء ونحوه لا فى حال حياة النبى ولا بعد موته ولم يثبت فى دعاء من الأدعية الصحيحة .

وأفتى العز بن عبد السلام بمنعه إلا فى حق النبى صلى الله عليه وسلم مستدلا بحديث الضرير عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضريرا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله لى أن يعافينى قال إن شئت

دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك قال فادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد انى توجهت بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى اللهم فشفعه فى " أخرجه أحمد وابن ماجه والنسائى "

وزاد فى بعض طرقه أنه توضأ ثم صلى ركعتين فدعا بهذا الدعاء فقام وقد أبصر . وتبع العز بن عبد السلام الامام الشوكانى وغيره وعليه الجمهور وقالوا أسألك وأتوجه اليك بنبيك سؤال بالذات وقسم به .

ومنع هذا التوسل ابن تيمية وغيره من الحنابلة مطلقا وقالوا الباء فى قوله أتوجه اليك بنبيك للسببية لا للقسم والمعنى أتوجه اليك بسبب محمد صلى الله عليه وسلم فيرجع الى الحالة الثانية وهى التوسل بمعنى الشفاعة .

ومما تقدم نعلم أن التوسل المشروع بالاتفاق هو التوسل بالعمل الصالح وبالغير على أنه شفيع وسائل لا مسئول بل المسئول والمقصود هو الله لأنه هو النافع الضار المعطى المانع الفعال لما يريد .

وأما ما يقع من العوام وأشباههم مخالفا لذلك فغير مشروع ترى أحدهم اذا نزل به أمر خطير ترك دعاء الله ودعا غيره فينادى بعض الأولياء معتقدا أنهم أرباب التصريف ولا يخطر له على بال دعاء الواحد القدير الفعال لما يريد ناسيا قول النبى " اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله " (1) قال الشوكانى : اذا تقرر هذا فلا شك أن من اعتقد فى ميت أو حى أنه يضره أو ينفعه إما استقلالا أو مع الله ، أو ناداه

---

(1) أخرجه أحمد .

أو توجه اليه أو استغاث به في أمر من الأمور التى لا يقدر عليهـــــا المخلوق فلم يخلص التوحيد لله ولا أفرده بالعبادة . اذ الدعاء بطلب وصول الخير ودفع الضر نوع من العبادة ولا فرق بين أن يكون هـــذا المدعو من دون الله أو معه حجرا أو شجرا أو ملكا أو شيطانا كما كـــان يفعل ذلك أهل الجاهلية وبين أن يكون انسانا حيا أو ميتا كما يفعله الآن كثير من المسلمين فإن العلة واحدة وعبادة غير الله وتشريك غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجماد ويكون للحى كما يكون للميـــت فمن زعم أن ثمة فرقا بين من اعتقد فى وثن أنه يضر أو ينفع وبين مـــن اعتقد فى ميت من بنى آدم أو حى منهم أنه يضر أو ينفع أو يقدر على ما لا يقدر عليه الا الله فقد غلط غلطا بينا وأقر على نفسه بجهل كثير [1] .

* الايمـان بالبعـــث :

مقصود هذه الوصية التنبيه على الايمان بالبعث لأجل الجزاء فان المكذب بالبعث جرئ على ارتكاب مساوى الأخلاق ومنكرات الأعمـــال فتصير الاستهانة بالعظائم خلقا ويصير ممن ليس له خلاق .

فهذه الوصية وهى " يا بنى انها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير " ناهية عـــن المنكرات بتصريحها داعية الى المعانى بأفهامها وتلويحها . ففاعـــل الأمور العظيمة لا يترك الناس سدى من غير جزاء . وأمرهم بشكر نعمته بافراده بالعبادة وعرفهم أن ذلك لا يتهيأ الا بالتصديق بالجـــزاء الحامل على معانى الأخلاق .

---

(١) الدين الخالص جـ٦ ص ١٥

* **الوصيـــة الثانيــــة من وصايـــا لقمـــان :**

هذه هى الوصية الثانية من وصايا لقمان الحكيم لابنه وهى ألا يحقر صغائر الأمور وأن يعنى بعمل الحسنات ولو كانت صغــــيرة ويتباعد عن المنكرات ولو كانت تافهه لأن الله سبحانه وتعالى جلــت عظمته وشاءت قدرته يأتى بالحسنة أو السيئة التى يفعلها الانســـــان ويحصيها ويحاسب عليها حتى ولو كانت صغيرة مثل حبة الخردل وفــى أخفى مكان كقلب صخر أو فى السموات أو فى الأرض لأنه سبحانه وتعالــى. لطيف لا يخفى عليه خافية خبير يعلم حقائق الأشياء وأسرار الأمـــور فكان لقمان الحكيم رحمه الله يقول لابنه : اعلم يابنى أن الله سبحانـــه وتعالى عليم علما لا نهاية له يعلم دقائق الأمور وخوافى الأشياء وأنـــه قادر على كل شىء ويطلع على كل أمر فكن على حذر منه سبحانه وتعالى وراقبه فى كل أعمالك . واعلم أنه يوم القيامة يحاسبك على كل تصرفاتك ويجازيك على كل أعمالك على النقير والقطمير والقليل والكثير ان خـــيرا فخير وإن شرا فشر يقول جل ذكره " فمن يعمل مثقال ذرة . خيرا يـــره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " فالله سبحانه يحصى جميع أعمـــال العباد من خير وشر مهما كانت صغيرة ودقيقة ويأتى بها يوم القيامـــة فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته . فيغفر الله له سيئاته ويثيبـــــــه بحسناته . وأما الكافر فيرد حسناته ويعذبه بسيئاته وقال محمد بن كعب القرظى رحمه الله " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره" يعنى أن الكافــــر يجازى فى الدنيا على الخير الذى يعمله فى نفسه وماله وأهله وولده حــتى يخرج من الدنيا وليس له خير" ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " . يعنى أن المؤمن يجازى الدنيا على عمل الشر الذى عمله فى نفســـه

وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس عليه شر .
قيل كان بعض الصحابه يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه الثمرة أو الكسرة من الخبز ويقول هذا ليس بشيء يثاب عليه المرء انما نثاب على ما نعطيه ونحن نحبه أى لقول الله تعالى " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا وذلك فى وصف الأبرار والثناء عليهم .
كما كان بعضهم يتهاون بالذنب الصغير كالنظرة مثلا ويقول : انما أوعد الله بالنار على فعل الكبائر وليس فى هذا اثم فأنزل الله هاتين الآيتين ترغيبا فى عمل الخير حتى القليل منه فانه ينمو ويكثر وتحذيرا من عمل الذنوب حتى السير منها فان الذنب مهما كان يسيرا فانه كبير عند الله تعالى .

وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : احكم آية فى القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم يسميها الجامعة الفاذة والمرء اذا علم أن الله تعالى يجازى على الكبير والصغير من السيئات والحسنات وأنه لا تخفى عليه خافية وامتلأ قلبه بذلك وتحققه فانه يتحاشى فعل المنكرات ويبتعد عن السيئات ويجتهد فى عمل الصالحات وتحصيل الطاعات وهذا هو سبيل المؤمن الصالح الكريم
قيل ان ابن لقمان قال لأبيه : يا أبت ان عملت الخطيئة حيث لا يرانى أحد كيف يعلمها الله فأجابه لقمان بما حكاه الله تعالى عنه فى هذه الآية يا بنى انها إن تك مثقال حبة من خردل " (١)

---

(١)) مجلة منبر الاسلام عدد ربيع الأخر ١٣٩٠ يونيو سنة ١٩٧٠

* اعتراض أثناء وصية لقمان :

قال الله تعالى " ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير • وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا • واتبع سبيل من أناب الي ثم الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون " •

هاتان الآيتان اعتراض أثناء وصية لقمان ووجه الطبرى ذلك بانها من معنى كلام لقمان وعما قصده وذلك غير متوجه لأن كون الآيتين في شأن سعد بن أبي وقاص حسب ما ذكره في سبب النزول وهذا يضعف أن يكون مما قاله لقمان •

وانما الذى يستند اليه أنه اعتراض أثناء الموعظة وليس ذلك بمفسد الأول منها ولا الأخير (١)

وهذا القول من لقمان انما قصد به اعلام ابنه بقدر قدرة الله تعالى • وهذه الفائدة التى أملته أن يفهمه لأن الخردلة يقال ان الحس لا يقدر لها ثقلا اذ لا ترجح ميزانا وقد نطقت هذه الآيه بأن الله قد أحاط بكل شئ علما وقد روى أن ابن لقمان سأل أباه عن عن الحبة تقع فى مقل البحر أيعلمها الله تعالى فراجعه لقمان بهذه الآيه (٢) •

* اثبات البعث :

بمقتضى ما ورد في القرآن من الصفات التى وصف بها الاله من أنه عدل " وما ربك بظلام للعبيد " والكل مخلوق لله وهو خالق وشوهد

(١) تفسير ابن عطيه ص ١٧١ (٢) تفسير ابن عطيه

اعتداء الخلق بعضهم على بعض فلابد من أن يكون هناك جزاء " ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون "

فالدليل العقلي الذى يدل على ذلك أنه بمقتضى علمه وقدرتـــه وحكمته لابد أن يقتص من الظالم ، فيكون واصلا الى أنه لابد مـــن أن يكون هناك جزاء للمسئ والمحسن وهذا الجزاء نشاهد عـــدم وقوعه فى الدنيا فنرى شخصا اعتدى ولم يقتص منه وبذلك فاننا اذا حكمنا العقل لابد من حياة أخرى وفى القرآن " أفنجعل المسلمين كالمجرمين" " وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفـــروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحـــات كالمفسدين فى الأرض " فبناء على ذلك لابد من الجزاء حتى ينتفى العبث ويقول ابن كثير فى تفسيرها تين الآيتين ما نصه ، يخبر تعالى أنـــه ما خلق الخلق عبثا وانما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم يـــوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر وبهذا تبارك وتعالى " وما خلقنـا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا " أى الذيــن لا يرون بعثا ولا معادا وانما يعتقدون هذه الدار فقط فويل للذيــن كفروا من النار أى ويل لهـم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة ثم يبين تعالى أنه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوى بين المؤمنـــين والكافرين فقال تعالى " أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحـــات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار " أى لا نفعل ذلـــك ولا يستوون عند الله واذا كان الأمر كذلك فلابد من دار أخرى يثـــاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر وهذا الارشاد يـــدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لابد من معاد وجزاء فانـــا

نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك .

ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده فلابد في حكمة الحكيم العليم العادل الذى لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا ، واذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين أن هناك دارا أخرى لهذا الجزاء [1] .

* عقيدة البعث عند اليهود :

قال اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه ، وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة [2] .

وفي آية آل عمران " ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات تلك المدة هى مدة عبادتهم للعجل ونحن نعلم أن لفظ معدودة جمع كثرة ، ولفظ معدودات جمع قلة واختلف التعبيران نظرا لاختلاف عقائد اليهود أنفسهم فبعضهم يرى أنها كانت أربعون يوما فعبر القرآن عن هذا الاعتقاد بجمع الكثرة قائلا أياما معدودة . ومن قال ان مدة عبادة العجل كانت سبعة أيام جاء التعبير بمعدودات فحكى القرآن حكاية كل من الصادق والكاذب . وفكرة الثواب في اليهودية لناحية خاصة لزعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه . ولا دليل في التوراة على البعث .

واليهود كما يؤخذ من توراتهم يقولون بالبعث الجسمانى فقط وهناك فريق من العلماء يرى أن الروح مادة وأن الروح كالماء في العود والماء مخالف لبقية أجزاء العود كذلك ما شبه به وهو الروح ، هذا الماء الذى هو الروح مادى لأن بعض القائلين بالروح يقولون بأنها من عالم

---

(١) ابن كثير (٢) سورة البقرة

المادة ولا يمنع أن تسمى روحا اصطلاحية عندهم ونفس الانسان هو دمه والدم شئ مادى كأن الذى يبعث يبعث بجسمه ودمه أى يبعث بروحه التى هى دمه وبذلك فاليهود يخالفون المسيحين حيث أن المسيحيين يقولون ان البعث روحانى فقط .

* عقيدة البعث عند النصارى :

يشاع على السنة المسلمين من أن النصارى تقول بالبعث الروحانى ولا تقول بالبعث الجسمانى ويكاد يكون الخلاف بين الطرفين لفظيا فقد جاء فى الانجيل " من يزرع جسما حيوانيا يقام جسما روحيا " ففى استدلاله على امكان البعث يفيد أن البعث جسمانى . وقول النصارى بأن الجسم الثانى له خواص ليست للجسم الأول لأن الجسم الأول كان قابلا للفناء . أما الثانى فلا يقبل الفناء ونحن المسلمين نقول بهذا .
وموضع الخلاف بين المسلمين والمسيحين ما يكون من نعيم أو عذاب فهو روحانى عند المسيحين ، ونحن المسلمين لا نقول بذلك بل نقول بأنه نعيم مادى ووجود العذاب أيضا مادى وفى الانجيل أن جماعة من الفريسيين الذين لا يقرون بالبعث سألوا المسيح عليه السلام فقالوا له رجل مات عن زوجته فتزوج أخوه زوجته ليقيم نسلا لأخيه فمات الثانى وتزوج الأخ الثالث الى أن تعدد الأزواج الى سبعة فلمن تكون الزوجة فى الأخرة ؟ فقال لهم ان أهل الجنة لا يزوجون ولا يتزوجون وانما هم كملائكة الله .

ويزيد المسيحيون شيئا آخر حيث يقولون بعقيدة الفداء فيقولون بأن المسيح قتل وصلب ليفدى العالم من الخطيئة .

* عقيدة البعث عند المسلمين للروح والجسد :

لقد جاء القرآن فى جانب البعث بما يخالف الكتب السابقة ويخالف ما كان عليه العرب من قولهم " أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون " .

كما رد القرآن عليهم ترددهم فى البعث فقال " يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث " كما أخبرهم بأن الجزاء سيكون لكل من الجسم والروح " وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ " .

وشبه الجزاء الواقع على الجسد والروح برجل عنده حديقة فجاء لها بمقعد وأعمى حارسانها لئلا يأكلا الثمار منها ففى يوم من الايام طابت الثمار وقال المقعد أرى قطوفا قد أينعت وحان قطافها ولكن لا أقدر على اتيانها فقال الأعمى أحملك على كتفى وتحضر لنا الفاكهة وتقطعها بيدك ونأكلها فحمل الأعمى المقعد وقطعا الثمار فاشتركا فى الجناية فجاء صاحب الحديقة ونظر الى ثمار حديقته فوجدها ناقصة فقال من الذى قطع الثمار ؟ فكل ادعى عجزه فالأعمى ادعى أنه لا يرى الثمار والمقعد ادعى أنه لا يقدر على المشى ، فأصدر حكمه عليهما لاشتراكهما فى الجناية ، وهكذا البعث للروح والجسد .

* الأمر باقامة الصلاة :

لما نبه لقمان ابنه الى تصحيح عقيدته والتصديق بأنه سيقوم للحساب أمره بما يدخره لذلك توسلا اليه وتخصفا لديه ، فقال يا بنى مكررا للمناداة على هذا الوجه تنبيها على فرط التضحية لفرط الشفقة " أقم الصلاة " بجميع حدودها وشروطها ولا تغفل عنها سعيا فى تجاة

نفسك وتصفية سرك فإن إقامتها وهى الإتيان بها على النحو المرضى مانعة من الخلل فى العمل لأنها الإقبال على الله واعتقاد أنه الفاعل المختار وحده والاعراض عن كل ما سواه .

ولهذا الاقبال والاعراض كانت ثانية التوحيد . وترك ذكر الزكاة تنبيها على أن من حكمته تخليه وتخلى ولده من الدنيا حتى ما يكفيهم لقوتهم .

* الحكمة فى تكرار الصلاة فى القرآن :

إن الصلاة جعلها الله للايمان تاليا وعن الفحشاء والمنكر ناهيا ، وجعلها عماد الدين وأمانا للمسلمين فلا عجب أن كررها الله فى القرآن ، فان الصلاة يوجد فيها صواب الزكاة نوط ما وهو بذل مال لماء الطهارة واللباس والصيام وهو الامساك عن الأكل والشرب والاعتكاف وهو لزوم المكان الواحد لأدائها والحج هو التوجه للكعبة دون سائر الجهات الا لعذر .

وكذا يوجد فى الصلاة صواب الشهادة كالشهادتين والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والجهاد وهو جهاد النفس والشيطان والذكر والتكبير والتسبيح والتحميد وغيرها وقد يكون التكرار موجبا للسآمة والملل فأزال تلك السآمة بتكرارها فى القرآن وأيضا فان الصلاة صلة بين العبد وربه وتلك المناجاة لها أهميتها فيكون مقتضيا لتكرارها .

كما أن الشيطان قد يوسوس بتركها فتحتاج الوسوسة من الشيطان الى التكرار فأزال الوسوسة بالتكرار ، والصلاة كفارة ولكى تكون كفارة مهتما بها كررها فى السور المكية والمدنية كثيرا .

* بعض ما يستفاد من أفعال الصلاة :

القيام يستفاد منه أن قيام العبد تعظيم لشأن السيد بحيث أن ذلك العبد اذا كان قائما بخدمته ولا يقعد الا باذنه واذا كان كذلك فالقيام قد آتى بثمرته وأصبح تعظيما لأمر الله متحريا بالدعاء والسكنة والوقار والخضوع والخشوع واضعا يده اليمنى على يساره مشيرا الى أنه كف يديه عن المكاسب وأظهر عجزه وضعفه عن التحصيل فلا يدله ولا قوة له ولا حول له ولا حيلة

وبالوقوف اشارة الى أنه لا يتحول عن باب مولاه ولا يقصد الا اياه بل هو ملازم لبابه وراج لثوابه وخائف من عقابه ٠

وأما القراءة فتشير الى أن العبد متمسك بكتاب الله وهو حبل متين ونور مبين واشارة الى أنه يناجي ربه بقوله الحمد لله رب العالمين لأن المصلى اذا ذكر الحمد يجد في نفسه محركا واذا قال الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقوى هذا المحرك ويتوجه الى رحمة الله حتى يخاطبه بقوله اياك نعبد واياك نستعين ٠ واذا خاطب ربه وجب أن يدعوه بقوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ٠ والذين أنعم الله عليهم بالهداية والاحسان هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون لقوله تعالى " ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا "

وأما الركوع فهو نهاية الخضوع والخشوع فينحنى ظاهرا بظهره مع الخضوع للمعبود ويستقيم لله باطنا بسره مع الخضوع للمعبود ٠ وأما السجود فهو غاية الخضوع والخشوع للمعبود اذ هو استعمال مجمع محاسن الخلقة لمن أحسن كل شيء خلقه فيلصق هذه الأعضاء السمحة بالتراب أداء لأمره

عليه السلام حيث قال أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء فيومئ الى أنه ليس فى وسعه الا هذا المقام فكأنه يقول الى هنا انتهى علمى فبلغنى يا رب منتهى أملى وكأنه يقول الله له عند السجود اقترب الى رحمتى وقل مقصودك لى كما قال تجدنى فى سجودك حين تدعو وحين تقوم فاطلبنى تجدنى فليس غير ذلك مطاب ولا عليك عمل منه أفضل ولهذا لا يطلق اسم الصلاة على هذه الجملة من الشرائط والأركان والواجبات والسنن والمستحبات والآداب ما لم يكن بالسجود مكمل بالطمأنينة .

فالسجدة الأولى ثابتة بقوله تعالى " واسجد "

والسجدة الثانية لقوله تعالى "واقترب "

وأما ختمها وهى القعدة فلأنها وقت سؤال الحاجة والدعاء والتضرع والخضوع والتذلل والخشوع .

ومن بديع لطفه بالعبد أن شرع لمتكرار القعدة فى صلاة واحدة هذه فائدة عظيمة بيانها أن يحترم المخلوق ويقوم بين يديه يوما أو يومين فلا يقول له اقعد واسترح ومن يقوم بأداء أمر الخالق جزء من ساعة فيقول الخالق له اقعد مرتين كما قيل .

أنا للعبد ارحم من أخيه .. ومن أبويه فاطلبنى تجدنى

فبالقعدة الأولى يقول له الخالق أخلص لنا ثناك وبالثانية اطلب رجاك وادع بالتذلل والخضوع والخشوع وتحلل من الاحرام بالسلام لملاقاة الاخوان وخاطبهم بالكلام .

ثم يقرأ الانسان التحيات أى العبادات كالصلاة والصوم والطيبات أى العبادات المالية والمركبة من البدن والمال كالحج لله تعالى فصار الانسان جامعا لجميع أنواع الأعمال .

ثم أعلم أن هذه الكلمات جرت فيها بين الأخلاء في ليلة المعراج فإنه لما صعد النبي صلى الله عليه وسلم بلغ فوق السموات في مكان مرتفع ومعه جبريل حتى جاوز سدرة المنتهى فقال له جبريل لم أجاوز هذا الموضع ولم يؤمر بالمجاوزة عن هذا الموضع غيرك ، فجاوز النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الموضع الذي شاء الله فأشار اليه جبريل بأنه يسلم على ربه والله المنزه عن المكان قال النبي التحيات لله والصلوات والطيبات قال تعالى السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون لأمته حظ في السلام فقال عليه السلام : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقال جبريل وأهل السموات كلهم : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ، ورسوله فالنبي صلى الله عليه وسلم لما أثنى الله بثلاثة أشياء رد الله عليه بمقابلتها بثلاثة أشياء السلام بمقابلة التحيات ، والرحمة بمقابلة الصلوات ، والبركات بمقابلة الطيبات .

* هدف الصلاة :

لقد بين الله هدف الصلاة في قوله " ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر "

الفحشاء ما قبح من الأعمال . والمنكر ما لا يعرف في الشرع . قال ابن مسعود وابن عباس : في الصلاة منه ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا " وقال الحسن وقتادة : من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه . وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان فتى من

الأنصار يصلى الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال : إن صلاته تنهاه يوما فلم يزل يلبث أن تاب وحسن حاله (١) .

* الركوع والسجود عند الأمم السابقة :

قال الله تعالى فى حق زكريا " وهو قائم يصلى فى المحراب "

قال الحرالى : ان الغالب على صلاته القيام لأن الصلاة قيام وسجود يقابله ، وركوع متوسط فذكرت صلاته بالقيام اشعارا بأن حكم القيام الغالب عليه (٢) . وفى حق مريم يقول : " واسجدى واركعى مع الراكعين " قال الحرالى : وكان من اختصاص هذا الاصطفاء حيث لحقت بهذه الأمة الراكعة .

والظاهر أن المراد بالسجود فى هذا المقام ظاهرة وبالركوع الصلاة نفسها فكأنه قيل : واسجدى مصلية ولتكن صلاتك مع المصلين أى فى جماعة فانك فى عداد الرجال لما اختصصت به من الكمال .

وانما قلت هذا لأنى تتبعت التوراة فلم أره ذكر فيها الركوع فى صلاة ابراهيم عليه السلام ولا من بعده من الأنبياء ولا أتباعهم الا فى موضع واحد لا يحسن حمله فيه على ظاهره . ورأيته ذكر الصلاة فيها على ثلاثة أنحاء :-

الأول اطلاق لفظها من غير بيان كيفية .

والثانى : اطلاق لفظ السجود مجردا .

الثالث : اطلاقه مقرونا بركوع أو جثو أو حدور على الوجه ونحو ذلك ففى

---

(١) البقاعى جـ١ ص ٥٩٥ (٢) سراج المصلى لمحى الدين البلخى الحنفى مخطوط فى دار الكتب تحت رمز ب رقم ٢٢٧٤٤

السفر الأول منها فى قصة ابراهيم عليه السلام حين ماتت زوجته سارة رضى الله عنها وسأل حارث أهل تلك الارض أن يعطوه مكانا يدفنهـا فيه فأجابوه فقام ابراهيم فسجد لشعب الأرض لبنى حارث وكلمهم وفيه فى قصة دانية قال وسجد على الارض وقال يارب وذكر دعاء ثم قال وصلى ابراهيم بين يدى الرب ٠

وفى قصة عبد لابراهيم عليه السلام أنه ذهب الى بلاد حران يخطـب لاسحاق عليه السلام امرأة فظفر بقصده ، فجثى الرجل أى عبد ابراهـيم على الارض فسجد للرب وقال تبارك الله رب سيدى ابراهيم ٠

وفيه لما أجابه أهل المرأة فلما سمع غلام ابراهيم كلامهم سجد على الأرض قدام المرأة وفيه عند لقاء عيسو بأخيه يعقوب فدنت الآمان وأولادهـا فسجدوا أى لعيسوا ودنت ليا وولدها فسجدوا فلما كان أخيرا دنت راحيل ويوسف فسجدوا وفيه فى قصة يوسف عليه السلام ودنا اخوته فخـروا له سجدا وقالوا له ها نحن لك عبيدا ٠

وفى السفر الثانى عند قدوم موسى عليه السلام الى بنى اسرائيـل واختاره لهم با رسال الله تعالى له واظهاره لهم الآيات فآمن الشعب وسمعوا أن الرب قد ذكر بنى اسرائيل وأبصر الى خضوعهم وجثـا الشعب وسجدوا للرب ٠

وفيه فاستعجل موسى فخر على وجهه على الأرض ساجدا وفيه فى تلقى موسى لحمية شعيب عليهما السلام اذ جاء بهيئة بما أنعم الله عليه بعد غرق فرعون فخرج موسى يلقى حمه وسجد له وقلبه وسأل كل منهما عـن سلامة صاحبه ٠

وفيه وقال الله لموسى عندما بشره بقتل الكنعانيين وغيرهم من سكان بـلاد

القدس لا تسجدوا لآلهتهم ولا تعبدوها ولا تعملوا كأعمالهم بل كبهم كبا على وجوههم وكسر أصنامهم واعبدوا الرب الهكم •

وفى أوائل السفر الثالث فى ذكر ظهور مجد الرب لهم فى قبة الزمان التى كانوا يصلون اليها على حياة موسى عليه السلام وعاين ذلك جميع الشعب وجحدوا الله وخر الشعب كله على وجهه •

وفى الرابع عندما هم بنوا اسرائيل بالرجوع الى مصر تضجروا من حالهم فخر موسى وهارون على وجهيهما ساجدين بين يدى جماعة بنى اسرائيل وفيه وكلم الرب موسى وهارون وقال لهما تنحيا عن هذه الجماعة لأنى مهلكها فخرا ساجدين على وجوههما •

وفيه عندما تذمروا عليه من أجل العطش فجاء موسى وهارون من عند الجماعة الى باب قبة الزمان فخرا على وجوهها فظهر لهما مجد الرب فذكر قصة ضرب الحجر بالعصا وانفجار الماء •

وفيه فى قصة بلعام بن باعور وحين رأى ملكا فى طريقه فجثا على وجهه ساجدا وأما اطلاق لفظ الصلاة فقال فى آخر السفر الثانى وكان اذا خرج موسى عليه السلام الى قبة الزمان كان جميع الشعب يقفون ويستعد كل امرىء منهم على باب خيمته وينظرون الى موسى من خلفه حتى يدخل الى القبة واذا دخل موسى عليه السلام القبة كان ينزل عمود السحاب فيقف على باب القبة ويكلم موسى عليه السلام وكان جميع الشعب ينظرون الى عمود السحاب واقفا على باب القبة وكان يقف جميع الشعب ويصلى كل امرىء منهم على باب خيمته •

وفيه وعمل سطلا من نحاس فنصبها ... عندما تنظر النسوة اللاتى يأتين فيصلين على باب قبة الأمد • وكل ما فيها من ذكر الصلاة فهكذا

يطلق لفظه غير مقرون بما يرشد الى كيفية
فالذى فهمته من هذه الأماكن وغيرها أن الصلاة عندهم تطلق على الدعاء
وعلى فعل هو مجرد السجود فان ذكر معه ما يدل على وضع الوجه
على الارض فذاك وحينئذ يسمى صلاة والا كان المراد به مطلق الانحناء
للتعظيم وذلك موافق للغة ٠
قال فى القاموس : سجد خضع والخضوع والتطامن وأما المكان الذى ذكر
فيه الركوع فالظاهر أن معناه فصلى الشعب كله ساجدا لله لأن
الركوع فى اللغة يطلق على معان منها الصلاة فقال ركع أى صلى وركع
اذا انحنى كثيرا والراكع من يكبو على وجهه ولا يصح حمل الركوع على
ظاهره لأنه لا يمكن فى حال السجود وان ارتكب فيه تأويل لم يكن بأولى
مما ذكرته فى الركوع والله أعلم ٠

واحتججت باللغة لأن مترجم النسخة التى وقعت لى فى عداد البلغاء
يعرف ذلك من تأمل مواقع ترجمته لها ٠ على أنى سألت عن صلاة اليهود
الآن فأخبرت أنه ليس فيها ركوع ٠

ثم رأيت البغوى صرح فى تفسير قوله تعالى " واركعوا مع الراكعين "
بأن صلاتهم لا ركوع فيها وكذا ابن عطيه وغيرها (١) ٠

* نوعـــا السجـــود :

سجود عبادة وسجود اكرام أما الأول فلله ٠
والثانى فيمكن أن يؤدى للملائكة ولذوى الكرامة من البشر وقد ورد هذا
السجود وذلك فى تاريخ الأمة الاسرائيلية قبل موسى فسجود العبادة حيث

---

(١) نظم الدرر جـ ١ ص ٥٩٨ — ٦٠٠

قال ابراهيم لغلاميه اجلسا أنتما ههنا مع الحمار وأما أنا والغلام فنذهب الى هناك ونسجد ثم نرجع اليكما (١) فقالت له (لعبد ابراهيم) أنا (رفقة) بنت بتوئيل عندنا تبن وعلف كثير ومكان لتبيتوا أيضا فخر الرجل وسجد (٢) وقال اليعازر : عبد ابراهيم وخررت وسجدت للرب (٣) وكان عندما سمع ابراهيم كلامهم سجد للرب الى الأرض (٤). فقام أيوب ومزق جبته وجز شعر رأسه وخر على الأرض وسجد (٥).

ولما قربت أيام اسرائيل أن يموت دعا ابنه يوسف وقال له ان كنت قد وجدت نعمة فى عينيك .. الخ الى أن قال فسجد اسرائيل على رأس السرير (عصاة) (٦) فآمن الشعب وعندما صنع موسى الآيات أمامهم ولما سمعوا أن الرب افتقد بنى اسرائيل وأنه نظر مذلتهم خروا وسجدوا (٧) وبعد فهذا سجود عبادة الرب وهو تعبير ظاهرى عن شعور الخضوع والتعبد الباطن ويكون بالجثو على الركبتين الى الأرض (٨) .

* السجود عند المسيحيين :

ان الطقوس وسيلة مناسبة لاشراك الجسد مع الروح فى العبادة . واذا كان الانسان يتألف من روح ومن جسم وكان على الروح واجب العبادة والخضوع لله اعترافا منها بفضله عليها واحسانه اليها فان على الجسم أيضا أن يؤدى هذا الواجب كاملا غير منقوص فالله الذى تفضل على الروح بنعمة الخلق ونعمة الحفظ تفضل على

(١) تك (سفر التكوين) ٢٢ : ٥ (٢) تك ٢٤ : ٢٦
(٣) تك ٢٤ : ٤٨ (٤) تك ٢٧ : ٢٩ (٥) تك ١ : ٢٠ .
(٦) تك ٤٨ : ١٢ (٧) خر (سفر الخروج) ٤ : ٣١ .
(٨) علم اللاهوت الطقسى للكنيسة الأرثوذكسية وهيب عطا الله جرجس ١٩٦١

الجسم أيضا بنعمة الخلق ونعمة الحفظ وقد خلق هذا الجسم بغاية الدقة والنظام والاحكام فضلا عن التآلف والانسجام بين سائر الاعضاء فكيف لا نعبد الله بأجسامنا كما نعبده أيضا بأرواحنا ·
ومعنى أننا ان صلينا وخضعنا بالروح فيجب أن نصلى وأن تخضع بالجسد كذلك فالروح تفكر وتتأمل فى الله وتتجه نحو الله والجسد يقف أو يسجد فى تأدب واحترام واللسان ينطق بألفاظ الصلاة فى حكمة واتزان ووقار [١]

أشكال أوضاع الصلاة عند المسيحين :

١ ـ اعتاد المؤمنون قديما وحديثا أن [٢] يستعملوا أثناء عبادتهم وتقديم صلواتهم حركات خضوعية ظاهرة " يريد الله أن نعبده بالروح والجسد معا " [٣] والوقوف قد اعتاده الناس قديما وحديثا فى الصلاة راجع صموئيل الثانى (اصم) ١ ـ ٢٦ ، ١ مل ٨ : ٢٢ واكليفة فى عبادتها الجمهورية اعتادت أن تقيم الصلاة وقوفا لا فى وقت قراءة الكتب الالهية بل وقت الصلاة أيضا ·

٢ ـ ثانيا الجثو والركوع والسجود : هذه الاشكال تستعمل اقتفاء الآثار السيد المسيح لأنه كان دائبا يصلى جاثيا على ركبتيه [٤] وكذلك رسله الأطهار الخ [٥].

---

(١) علم اللاهوت الكنسى ص ٩
(٢) اللآلىء النفيسه فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة تأليف يوحنا سلامه مكتب مار جرجس طبعة ١٩٦٥ جـ١ ص ١٧٤ (٣) رو سفر الرؤيا ١٢ : ١
(٤) انجيل متى ٢٦ : ٢٩ ولوقا ٢٢ : ٤١ ·
(٥) ٧ : ٦٠ ، ٩ : ٤٠ ، ٢٠ : ٢٦ ، ٢١ : ٥٠

وقد يعبر عن السجود بالخرور أو السقوط على الوجه عد (١) وأمر بالسجود مت (٢) وهو دليل الخضوع والتعبد واظهار لزيادة التواضع أمام الله (٣)
وقد جاء في تاريخ الكنيسة أن ركبتي القديس يعقوب الرسول قد يبست حتى صارتا كركب الجمال بسبب كثرة جثوه وقت الصلاة فهي حينا تقف أفعال السجود تجثو وتركع تسجد ذاكرا لسجود آدم وذريته الا أنها تستثني أيام الآحاد وأعياد الخماسين والسبوت على مدار السنة ما عدا السبت الكبير فانها اصطلحت على أن يكون الشعب وقت الصلاة فيها وقوفا ذاكرا لقيام المخلص ونهوضه من بين الأموات وقد نص على ذلك مجمع نيقيه (٤) .

وتستعمل الكنيسة الجثو والركوع والسجود يوم عيد العنصرة بنوع استثنائي حيث تلزم بنيها بجثو على ركبتهم والكاهن يتلو صلاة السجدة وهو جاث على ركبتيه أمام الشعب.

قال أحد الآباء : ان الجثو يدل على عبوديتنا لله واحترامنا الباطن (٥)

---

(١) سفر العدد ١٦ : ٢٢ آيشى (أشعيا) ١٤:٥ ، ٦:٧ وآمل ١٨ : ٤٢ : ٥٤ (٢) متى ٤ : ١٠ (٣) مل ٨ : ٢٤

(٤) صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى الطبعة الرابعة ١٩٦٩ كما يراجع الكتاب المقدس وهو كتاب العهد القديم والعهد الجديد صدر عن جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى • مجمع نيقيه راجع سفر الخروج ٩ : ٢٩ ، ٣٣ وملى ٨ ، ٢ آى ٦ : ١٢ : ١٣ ومز ٢٨ : ٢ ، ٦٣ : ٤ ، ٦٨ : ٣١ وأسى ١ : ١٥ .

(٥) اللآلئ النفيسه جـ١ ص١٧٦ ويراجع في ذلك فهرس الكتاب المقدس للدكتور جورج يوسف وهو قاموس يستدل به على ألفاظ الكتاب المقدس ومواضع آياته ٩ .

* الصلاة عند المسيحين ورأيي فيها :

وبقراءتي وصلت الى أن الصلاة عند المسيحين بركوع وسجود على ما هي عليها الآن عندهم ونحن نعلم أنهم ليس لهم هدف في تغيير الصلاة وتحريفها عما كانت عليه وأنهم لم يحرفوا الا ما يمس بعقيدتهم ودياناتهم كما أن الصلاة عادة توءخذ بالمشاهدة والمعاينة وصلاتهم الآن بركوع وسجود كما أن الصلاة عندهم سبع صلوات :—

١ — صلاة الساعة الأولى وهي صلاة الصبح بداية ظهور النور الطبيعي ويجب تأديتها قبل مباشرة أي عمل ·

٢ — وصلاة الساعة الثالثة ·

٣ — وصلاة الساعة السادسة وهي التي يعبر عنها بالظهر ·

٤ — وصلاة الساعة التاسعة ·

٥ — وصلاة الحادية عشر وتسمى صلاة المغرب ·

٦ — وصلاة الساعة الثانية عشر وتسمى صلاة النوم ·

٧ — وصلاة نصف الليل (١)

* قدم فريضة الصلاة :

ان الصلاة مفروضة من قديم الزمان ولم يقل الله لأتباع محمد صلى الله عليه وسلم صلوا بل قال يقيمون الصلاة وقال الله تعالى " إن الصلاة كانت على الموءمنين كتابا موقوتا "

وقد كانت الصلاة قبل الهجرة ركعتين ركعتين فأتمت بعد الهجرة إشارة الى أن المدينة دار الاقامة وما قبلها كان محل سفر ونقلة

---

(١) كتاب اللآلئ النفيسة في شرح طقوس الكنيسة ص ١٤٧ ·

روى الشيخان وأحمد وهذا لفظه عن عائشة رضى الله عنها قالت فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر (١)

وكان محمد صلى الله عليه وسلم يتعبد فى غار حراء وعلم خديجة وعليا رضى الله عنهما الصلاة وكان يصلى الضحى فى الكعبة وأبو جهل يرمى على رسول الله القاذورات وهو ساجد . إذن فالصلاة مفروضة من قديم الزمان وكان الاتجاه فيها الى الكعبة .

* الكعبـة هى القبلـة الأولى :

لقد شاع عندنا أن المسجد الأقصى هو أولى القبيلتين مع أن النص القرآنى يصرح بأن الكعبة هى القبلة الأولى من آدم الى قيـام الساعة " ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مبارك وهدى للعالمين " ويقول الله تعالى " جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس " أى يقيمون فيها الصلاة فأبناء آدم وأبناء صالح وزكريا وجميع الأنبيـاء توجهوا الى الكعبة . واسماعيل الذى يقول عنه " وكان يأمر أهلـه بالصلاة " قد توجه الى الكعبة وعند النظر الى وصف كل من المسجدين نجد أن المسجد الأقصى يقول الله عنه " الذى باركنا حوله "

وفى المسجد الحرام يقول " مبارك وهدى للعالمين " فالبركة الـتى وصلت الى المسجد الأقصى امتداد من بيت الله الحرام ، وبذلـك فالمسجد الأقصى مستمد البركة ـ من المسجد الحرام . وقد كـان داود عليه السلام يصلى فى المسجد الاقصى ويقوم فى المحراب المتجه الى

(١) نظم الدرر جـ١ ص ٧٨٢ .

الكعبة . وفى ليلة الاسراء جمع الله الأنبياء للنبى محمد فى المسجد الأقصى وبايعوه وسلموا له زمام الدين وصلى بهم إماما فأمره الله أن يتجه الى المسجد الأقصى تكريما للأنبياء واختبارا للمؤمنين الصادقين " وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم .

وأمر الله حبيبه أن يتجه اليها بستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا . وأخذ النبى يقلب وجهه فى السماء " قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام " .

والرسالات السابقة انما كانت تمهيدا للدين الجديد وبشارة بظهوره . وقد قال بعض العلماء : كل الأنبياء كانوا نوابا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الدعوة الحقيقى قبلته هى المسجد الحرام فكذلك قبلة من انيبوا عنه . والنبى صلى الله عليه وسلم تلخيص وجميع للأنبياء جميعا فاننا لا نعرف كثيرا من أحوال الأنبياء أما محمد صلى الله عليه وسلم فمعروف محدد بتاريخ ميلاده ووفاته أما الأنبياء السابقون فلم تحدد أماكن وجودهم وتاريخ ميلادهم فاذا جاء القرآن وحدد بقوله " جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس " فهى قبلة الأنبياء جميعا .

* **الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :**

لما أمر لقمان ابنه بتكميله لنفسه عن طريق الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر عطف على ذلك تكميله لنفسه بتكميل غيره توفية لحق الخلق . وذلك أنه لما كان الناس فى هذه الدار سفراء وكان المسافر إن أهمل رفيقه حتى أخذ أو شك أن يؤخذ هو أمره بما يكمل نجاته بتكميل رفيقه وقدم الأمر بالمعروف وان كان من جلب المصالح لأنه

يستلزم ترك المنكر ، وأما ترك المنكر فلا يستلزم فعل الخير فانك اذا قلت لاتأت منكرا لم يتناول ذلك في العرف الا الكف عن فعل المعصية لا فعل الطاعة فقال " وأمر بالمعروف " أى كل ما تقدر على أمره تهذيبا لغيرك وشفقة على نفسك بتخليص أبناء جنسك ولما كانت هذه سفينة يسافر من فيها الى ربهم وكانت المعاصي مفسدة لها وكان فساد السفينة مغرقا لكل من فيها من أفسدها ومن أهمل المفسد ومن يأخذ على يده وكان الأمر بالمعروف نهيا عن المنكر صرح به فقال "وانْهَ عن المنكر " أى كل من قدرت على نهيه " حب لأخيك ما تحب لنفسك" تحقيقا لنصيحتك وتكميلا لعبادتك لأنه ما عبد أحد ترك غيره يتعبد لغيره ومن هذا الطراز قول أبى الأسود :

ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها : فاذا انتهت عنه فأنت حكيم

لأنه أمره أولا بالمعروف وهو الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر فاذا أمر نفسه ونهاها ناسب أن يأمر غيره وينهاه .

وهذا وان كان من قول لقمان الا أنه لما كان في سياق المدح له كنا مخاطبين به [1] .

* التوفيق بين آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآيات المسالمة وعدم التعرض للغير :

يقول الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم " وقوله تعالى " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر "

---

(١) نظم الدرر جـ٦ ص ١٢٤ .

وقوله " واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم "
فقد يقال عليكم أنفسكم أمر بالمسالمة وعدم التعرض للغير ·
والثانية فيها الأمر بالمعروف والآية الثالثة فيها أمر بالقتل وقد قال
أبو بكر رضي الله عنه : ان الناس يمرون بهذه الآية ويقرأونها على غير
وجهها ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " اذا رأيت شحا
مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك " ·
فما نقل عن أبي بكر رضى الله عنه يبين أن الحكم الموجود كان خاصا بوقت
فاذا لم يوجد ذلك الوقت عليك أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر
فينظر فى حال المسلمين ان كانوا أقوياء عليهم أن يقاتلوا وان كانوا
ضعفاء عليهم أنفسهم وان كانوا متوسطين عليهم الأمر بالمعروف والنهى
عن المنكر ·

* الجهاد فى المجتمع :

الجهاد فى المجتمع عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن
المنكر وليس الأمر وظيفة العلماء فقط بل من واجبات كل من عرف
المعروف وعرف المنكر فكل فرد مسلم جندى من جنود الله يقول الرسول
صلى الله عليه وسلم وحلم فى حديث ما معناه " ما من نبى بعثه الله
قبلى الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يهتدون بأمره وهؤلاء هم
طبقة الصحابة والسلف الصالح ثم أنه خلف من بعدهم خلوف يقولون ما
لا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون " ثم يبين الرسول موقف كل مسلم
بالنسبة لهؤلاء فقال " من جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم
بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك حبة
خردل من ايمان " ·

* الجهـــاد القلـــبي :

يظن بعض الناس أنه حينما يرى المنكر ويقول في نفسه أعـــوذ بالله أو استغفر الله أنه أدى ما عليه كلا والجهاد القلبي جهـــاد ايجابي وليس سلبيا ونضرب لذلك مثالا . اذا وجدت أحد معارفـــك أمامه زجاجة من البيرة يشربها تنصحه وتقول له إن البيرة خمر وان الخمر لعنها الرسول في نفسها باعتبارها سائلا ولعنها في حاملها وعاصرهـــا ولعنها في شاربها وفي المتجر بها فالبيرة داخلة في الخمر فاذا لـــم يستجب تكون قد أديت جهاد اللسان .

والجهاد القلبي اذا كان فاجرا فلا تتعامل معه بالبيع والشراء ولا تجالسه ولا تصادقه ولا تصاحبه فقد قال الله تعالى " لعن الذيـــن كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصـــوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون " ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " كانوا ينهونهم فاذا لم ينتهـــوا آكلوهم وشاربوهم " فكأنهم لم يستعملوا الجهاد القلبي .

* المحافظة على الانسان عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلوبـــة شـــرعـــا :

على الانسان أن يحافظ على نفسه عند مباشرة الواجب الديـــني فعن أبي اسحاق بن ابراهيم حدث أصحابه أنه قال لأبي عبد الله أحمد ابن حنبل متى يجب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قال اذا لم يخف سيفا ولا سوطا (١)

---

(١) كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مسائل الامام أحمد بن حنبل موجود على فيلم بالجامعة العربية تحت رقم ٤٥ تصـــوف .

قال ابراهيم بن يعقوب عن اسماعيل بن سعد قال أحمد عمن تـــرك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عند من لا يخاف سيفه ولا سوطــه قال اذا استطاع فليغير لا يسعه غيره ٠

وعن اسحاق يقول : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب عليه قيــل فان خشى قال هو واجب عليه حتى يخاف فاذا خشى على نفسه فــلا يفعــل (١)

وعن أبى بكر المروزى قال سمعت محمد بن عبد الله يقول : قلــت لشعيب بن حبيب فى الأمر والنهى فقال : لولا العجز والسوط وأشباه هذا لأمرنا ونهينا ٠

* الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس فرضا على المسلمين :

يقول الله تعالى " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمــرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله "

ويقول " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عــن المنكر "

وعن عبد الواحد بن زيد قال قلت للحسن يا أبا سعيد أرأيت الأمــر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضة هو ؟ قال : لا يا بنى فريضة علــى بنى اسرائيل فرحم الله هذه الأمة لضعفهم فجعله عليهم نافلة من رأى منكرا فلم يستطع له تغييرا أن يعلم الله من قبله أنه له كاره

عن أبى عبد الله أحمد بن حنبل قيل له رجل رأى منكرا أيجب عليه تغــييره قال اذا غير بقلبه فأرجو ٠

---

(١) لوحة ٢ ، ٣

وعن اسحاق بن ابراهيم حدث أنه سأل أبا عبد الله قال قلت رجل تكلم بكلام يستوجب على فيه أن أغيره فى ذلك الوقت فلا أقدر على تغييره وليس لى أعوان يعينوني عليه : قال : اذا علم الله من قلبك أنك منكر لذلك فأرجو أن لا يكون عليك منه شئ ٠

قال وكيع فى الأمر والنهى : مروا من لا يخاف سيفه ولا سوطه ٠

وقيل لأبى عبد الله أحمد بن حنبل : كتب الأمر والنهى على الانسان قال يا أبا محمد فى هذا الزمان أظنه قال شديد مع أنه فى حديث أبى سعيد تسهيلا " من رأى منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان " ٠

ثم قال لأحمد وهذا أشدها على قال من رأى منكرا فليغيره بيده وقال ما أمرتكم به ٠ عن الامر فأتوا منه ما استطعتم فسكت الامام احمد

* الأخلاق المثالية :

لما كان القابض على دينه فى غالب الأزمان كالقابض على الجمر لأنه يخالف المعظم فيرمونه عن قوس واحدة ولا سيما وان أمرهم ونهاهم فزوده لقمان بعدة وصايا أخلاقية جماعها الصبر فقال " واصبر " صبرا عظيما لأنه لابد من المصيبة ليكون الانسان على بصيرة فقال " على ما أصابك " قيامك من الأمر بالمعروف وغيره سواء كان بواسطة العباد أو لا كالمرض ونحوه (١) ٠

* أنواع الصبر :

ان الصبر كلمة جميلة ونحن فى حاجة الى الصبر ليلا ونهارا فى يقظتنا ومنامنا فى شدتنا ورخائنا ومن هنا غرس الرسول محبة الصبر فى كل

---

(١) نظم الدرر ٠

اتجاه ولا يخرج الصبر عن الأحوال الآتيه : اما صبر على الطاعة أو صبر على المعصية أو صبر على الابتلاء :

١ — الصبر على الطاعة : فعندما تقف فى الصلاة لا تتعجل فى ركعاتها وتسرع فى تأديتها وانما وجب علينا أن نؤمن بأننا نتحدث مع الله ونناجيه ونفرغ القلب من هموم الدنيا ومشاكلها ولا نفكر فى مكاسبنا ونلقى الدنيا وراءنا بما فيها وما عليها ومن هنا يهون عند الانسان الوقت الذى قضاه فى مناجاة ربه فهو مطيع لله وصابر فى أداء طاعة مولاه ومن هنا يقول الله لحبيبه " وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا "

وقول " فاعبده واصطبر لعبادته " فالصبر على الطاعة أيا كانت هذه العبادة فلا يتعجل الانسان بتناول الافطار ان كان صائما بشهوة الطعام ولا يقل الانسان مضى من رمضان كذا وكذا ولا ولابد من الفرح وأنت ملازم للطاعة وأن تحزن على كل يوم يمر فتقول لنفسك ماذا قدمت فى هذا اليوم من طاعة ؟ وهكذا فى كل عبادة يتوجه بها الانسان .

٢ — ثانيا الصبر على المعصية : ان الانسان مركب من شهوة وغرائز وأعطاه الله القوة بأن ينتصر على شهواته وأن يتغلب على نفسه فهذه سيدة تزينت وغلقت الأبواب واتخذت كل وسائل الاغراء ولكن يوسف عليه السلام استعصم وصبر على المعصية واحتمى بجلال الله فأمده الله وحماه وعصمه .

٣ — الصبر على الابتلاء : وهو أرفع الأنواع وأما الصبر على الطاعة فيسير يقول الله تعالى "واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور

وقد وعد الله المبتلين بهذا النوع بخمسة أشياء فقال " يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ".

فنجد الابتلاء توجه الى القاء الخوف فى النفوس والقاء الذعر بالتضخم السكانى وان العالم ستنتابه المجاعة الجارفة ثم القاء النقص فى الأموال والأنفس والثمرات ثم يختم هذه المراتب الخمس بقوله " وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ".

ونجد كل الرسل والأنبياء والصالحين صبروا على المحن والأذى .

ولابد أن نسلك الطريق الوعر الذى يتطلب جهادا لأنفسنا ويتطلب الصبر بقول الله تعالى " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين " .

ولذلك نجد للفتى الصغير الذى جاءه والده وقال له انى أريد أن أذبحك لم يهرب من وجه أبيه أو اتهم أباه بالجنون بل التزم الصبر " فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين " ويعقوب عليه السلام يأخذ هذا الدرس حينما افتقد يوسف وهو يعلم أن الذئب لم يأكله " قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل " .

ومن هنا ندرك مقدار وصية لقمان لابنه حيث وصاه بخلق الأنبياء جميعا فى قوله : " واصبر على ما أصابك ان ذلك " أى الأمر العظيم الذى أوصيتك به لا سيما الصبر على المصائب من الأمور المقطوع بها المفروضة بأن تكون لله شاكيا ومتوجها والا يتبرم بالضراء ولا يفزع قلبه عندها بل يكون عند الصبر ملازما عند الطاعة والمعصية والابتلاء فعند الطاعة يكون صابرا حتى

يحظى بثوابها ولا يطفئ هذا الاتصال الروحي .

* النهـي عن الكـبر :

لما كان من آفات العبادة لاسيما الأمر والنهي لتصورها بصورة الاستعلاء والاعجاب الداعي الى الكبر قال محذرا من ذلك معبرا عن الكبر بلازمه لأن نفي الأعم نفي للأخص ، منبها على أن المطلوب في الأمر والنهي اللين لأن الفظاظة والغلظة حاملات على النفوس فقال " ولا تصعر خدك للناس " أي لا تمله متعمدا إمالته بإمالة العنق متكلفا لها .
ولما كان ذلك قد يكون لغرض من الأغراض التي لا تدوم أشار الى المقصود بقوله للناس أي لا تفعل ذلك لأجل الامالة عنهم وذلك لا يكون الا تهاونا بهم من الكبر بل أقبل عليهم بوجهك كله مستبشرا منبسطا من غير كبر ولا غلو .
ويقول ابن كثير : لا تعرض بوجهك عن الناس اذا كلمتهم أو كلموك احتقارا منك لهم واستكبارا عليهم ولكن الِنْ جانبك وابسط وجهك اليهم .

* النهـي عن الخيـلاء :

لقد أُتْبِع ما يلزم الكبر فقال " ولا تمش في الأرض مرحا " أي خيلاء متكبرا جبارا عنيدا لا تفعل ذلك يبغضك الله وبهذا قال : " ان الله لا يحب كل مختال فخور " أي مختال معجب بنفسه فخور على غيره قال تعالى " ولا تمش في الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا " . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني عن ثابت بن قيس بن شماس قال ذكر الكبر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فشدد فيه فقال الله " ان الله لايحب كل مختال فخور " فقال رجل من القوم : والله يا رسول

الله انى لأغسل ثيابى فيعجبنى بياضها ويعجبنى شراك نعلى وعلاقـــة سوطى فقال " ليس ذلك من الكبر انما الكبر أن تسفه الحق وتغمـــط الناس "

وأهل هذا الخلق ملازمون للفخر والخيلاء وقد قال عليه السلام " من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة "

ومن الفخر الفخر بالنسب وغير ذلك (١)

فذكر لقمان ابنه فى وصيته بأن أصله تراب لا يقدر أن يعدوه فقال فـــى الأرض مرحا أى اختيالا وتكبرا ولا يكن ولا منك هذه الحقيقة لأن ذلك مشى أشر وبطر وتكبر وجدير صاحبه أن يظلم ويفحش ويبغى بل امش هونا فان ذلك يفضى بك الى التواضع فتصل الى كل خير فترفق بك الأرض اذا ضربت فيها . ولما كانت غاية ذلك الرياء للناس والفخر عليهم المثمـــر لبغضهم الناشئة عن بغض الله علله بقوله مؤكدا لأن كثيرا من النـــاس يظن أن إسباغ النعم الدنيوية من محبة الله فقال " ان الله " الـــذى لاينبغى الكبر الا له " لا يحب كل مختال فخور "

* التوسط فى المشـــى :

فلما نهى لقمان ابنه عن الخلق الذميم رسم له الخلق الكريـــم الذى ينبغى أن يستعمله من القصد فى المشى أى اعدل وتوسط فى مشيك لا افراط ولا تفريط مجانبا تبختر المتمالين ودبيب المتماوتين .

عن ابن مسعود رضى الله عنه كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيـــب النصـــارى .

---

(١) تفسير ابن عطيه .

* الغض من الصـــوت :

" واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير" إن المقصود هو التوسط بين الرفع والخفض حيث قال " أنكر الأصوات " أى أقطعها " لصوت الحمير" مبالغة له فى التهجين فان هـــذا الجنس لما له من العلو المفرط من غير حاجة وأوله زفير وأخره نهيق وهــذا فعل أهل النار .

فهذه وصايا لقمان فيما جاء به القرآن والله الموفق .

* رمـــوز مصادر الكتاب وعناوينهـــا :

فيما يلى نورد المصادر التى ذكرنا لها رموزا فى هوامش الصفحات

١ ـ ابن الأثير ـ الكامل فى التاريخ لابن الأثير الجزرى الملقب بنقى الدين المتوفى ٦٣٠ (مصر ١٣٤٨)

٢ ـ ابن سعد ـ طبقات ابن سعد طبع ليدن ١٣٢٢ هـ

٣ ـ البيان فى علوم القرآن ـ للشيخ غزلان .

٤ ـ بلوغ الأرب للألوسى ـ طبع الرحمانية ١٩٢٤ .

٥ ـ بلاذرى ـ فتوح البلدان للبلاذرى طبع فى مصر ١٩٠١ م

٦ ـ بيـــان البيان والتبين للجاحظ نشره وحققه عبد السلام هـارون وطبع فى القاهـــرة .

٧ ـ ابن كثير ـ طبع المنار بمصر فى سنة ١٣٤٧ هـ .

٨ ـ أصنام ـ الأصنام لابن الكلبى نشره أحمد زكى باشا وطبع فى القاهره ١٩٢٤ .

٩ ـ الأعلام لخير الدين الزركلى جـ٦ ص ١٠٨

١٠ـ الأوامر والنواهي من حائل ـ الامام أحمد بن حنبل مخطوط بالجامعة العربية على فيلم تحت رمز ٤٥ تصوف رواية أبى بكر المعروف بغلام الخلال .

١١ـ أوضح التفاسير لابن الخطيب ـ المطبعة المصرية ومكتبتها .

١٢ـ التمهيد ـ تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية تأليف مصطفى عبد الرازق القاهرة ١٩٤٤ .

١٣ـ التعريف والاعلام للسهيلى : مخطوط بمكتبة الأزهر .

١٤ـ تفسير القرطبى ـ مطبعة دار الكتب ١٩٦٣ .

١٥ـ تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات ـ للعالم الموفق محب الدين أفندى على الكشاف .

١٦ـ تفسير ابن عطيه ـ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت تفسير ١٠ .

١٧ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ـ تأليف جواد على (بغداد ١٩٥١ ـ ١٩٥٣) .

١٨ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة ـ لأبى الحسن بن الأثير الجزرى (طبع القاهرة ١٢٨٠) .

١٩ـ الثعلبى ـ قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس ـ تأليف أبى اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابورى المعروف بالثعلبى الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ القاهرة .

٢٠ـ جامع البيان ـ عن تأويل أى القرآن لأبى جعفر الطبرى طبع مصطفى الحلبى الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤م

٢١ـ جبور نظرات فى فلسفة العرب ـ لجبور عبد النور (بيروت ١٩٤٥) .

٢٢ـ حيوان ـ الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر ـ الجاحظ
تحقيق وشرح عبد السلام هارون (سبع مجلدات طبع الحلبي
بالقاهرة ١٩٣٨ .

٢٣ـ دائرة معارف القرن الرابع ـ تأليف محمد فريد وجدي الطبعة
الثانية بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين سنة ١٣٤٣ هـ
١٩٢٤م

٢٤ـ الدين الخالص ـ الشيخ محمود خطاب السبكي .

٢٥ـ الروض الآنف للسهيلي طبع في القاهرة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤م وعلى
هامشه ابن هشام الحميري البصري .

٢٦ـ رسالة في الصلاة : تأليف العلامة محي الدين البلخي مخطوط بدار
الكتب .

٢٧ـ سجستاني ـ كتاب المعمرين من العرب تأليف أبي حاتم سهل
بن محمد بن عثمان السجستاني المتوفى ٧٣٥ هـ طبع القاهرة .

٢٨ـ شرح موطأ مالك ـ تأليف أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي
تحقيق ابراهيم عطوة طبعة مصطفى الحلبي .

٢٩ـ ضبي ـ أمثال العرب للفضل الضبي يليها أسرار الحكماء
لياقوت المستعصمي (كتب ٦٨٩) مطبعة الجوانب قسطنطينية
سنة ١٣٠٠

٣٠ـ عسكري ـ جمهرة الأمثال ـ لأبي هلال حسن بن عبد الله العسكري
النحوي المتوفى ٣٩٥ على هامش مجمع الأمثال للميداني طبع القاهرة
١٣١٠ .

٣١ـ علم اللاهوت الطقس للكنيسة الأرثوذكية ١٩٦١ وهيب عطا الله جرجس

٣٢ـ فهرس الكتاب المقدس للدكتور جورج يوسف وهو قاموس يستدل به من الفاظ الكتاب المقدس على مواضع آياته صدر عن مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى الطبعة الرابعة ١٩٦٩ .

٣٣ـ القرآن الكريم .

٣٤ـ الكتاب المقدس ـ كتاب العهد القديم والعهد الجديد صدر عن جمعية الكتاب المقدس فى الشرق الأدنى .

٣٥ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ـ تأليف أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى ٥٣٨ طبعة مصطفى الحلبى .

٣٦ـ لسان العرب لابن منظور ـ جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى طبع بولاق سنة ١٣٠٠ .

٣٧ـ اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس الكنيسة ـ تأليف يوحنا سلامة مكتبة مارى جرجس بشيكولانى شبرا مصر ١٩٦٥ .

٣٨ـ الأمثال فى النثر العربى القديم ـ الدكتور عبد الحميد عابدين الطبعة الأولى مكتبة مصر .

٣٩ـ مجمع البيان فى تفسير القرآن للشيخ أبو على ـ الفضل بن الحسن الطبرسى من أكابر علماء الامامية ـ فى القرن السادس طبع دار مكتبة الحياة بيروت ١٣٨٠ هـ ١٩٦١م .

٤٠ـ المنتخب فى تفسير القرآن ـ لجنة القرآن والسنة القاهرة ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٨ م

٤١ـ موطأ الامام مالك ـ طبع عيسى الحلبى صححه محمد فؤاد عبد الباقى

٤٢ـ مناهل العرفان ـ فى علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى طبع عيسى الحلبى .

٤٣ـ مراد بكرى ـ تاريخ الأدب السريانى تأليف الدكتور مراد كامل والدكتور حمدى البكرى طبع فى مصر ١٩٤٩م

٤٤ـ مسكويه ـ الحكمة الخالدة (جاويدان خرد) لأبى على أحمد بن محمد مسكويه حققه وقدم له الدكتور عبد الرحمن بدوى القاهره ١٩٥٢ .

٤٥ـ معجم البلدان ـ لياقوت بن عبد اله الحموى ـ المتوفى ٦٣٦ (القاهرة ١٩٠٦)

٤٦ـ معارف المعارف لابن قتيبة ـ طبع مصر ١٩٣٤ .

٤٧ـ ميدانى مجمع الأمثال ـ لأبى الفضل أحمد بن محمد النيسابورى المعروف بالميدانى المتوفى سنة ٥١٨ طبع فى بولاق ١٢٨٣ هـ وطبع فى القاهرة سنة ١٣١٠ وعلى هامشه جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى وطبع فى القاهرة طبع عبد الرحمن محمد سنة ١٣٥٢ هـ .

٤٨ـ مجلة منبر الاسلام .

٤٩ـ مجلة نور الاسلام .

٥٠ـ نظم الدرر فى تناسب الآى والسور ـ المخطوط بمكتبة الأزهر وفى نسختين خطيتين تحت رمز تفسير برقم ٢٣٠٨ .
ونسخة أخرى مخطوطة بدار الكتب المصرية .

فهـرسـت الموضـــوعـات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

* * * * * *